جامعة محمد خيضر بسكرة
الكلية الأدب واللغات
القسم الأدب العربي

مذكرة ماستر

التخصص: أدب عربي قديم

رقم: أ.ع.ق/50

إعداد الطالب:
بسمة العشي

يوم:2022/06/27

فن الخطابة في النثر الجزائري القديم " نماذج مختارة "

لجنة المناقشة:

نوال أقطي	أ.م.ا	مُحَمَّد خيضر بسكرة	رئيسا
دخية فاطمة	مح.أ.	مُحَمَّد خيضر بسكرة	مشرفا ومقررا
نسيمة قط	أ.م.ب	محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

الشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إنجاز هذه المذكرة.

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد:

بعد أن أتممت مذكرتي أجد نفسي في كلمة لابد أن أذكرها، وهي أن العمل قد تم على ما هو عليه بفضل الله تعالى أولا، ثم بفضل الذين كانت لهم الأيادي البيض عليه

فما كان لمذكرتي أن تخرج على النور لولا توجيه السديد والرعاية الفائقة التي شملتني بها الدكتورة**" دخية فاطمة "**

وكان لملاحظتها القيمة الأثر الكبير في إظهارها فضلا عن إشرافها علي، حتى أصبح البحث ثمرة يانعة، فلها مني جزيل الشكر والامتنان اعترافا بجهودها العظيمة

كما يسعدني أن أتقدم بأسمى التقدير وجزيل الشكر إلى كل أساتذة اللغة والأدب العربي

واسأل الله التوفيق.

الإهـــــداء

قال الله تعالى (...ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) سورة النحل الآية 19

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع، إلى النفس الهادئة، إلى من حملتني وهنا ووضعتني وهنا، إلى من غمرتني بحنانها، إلى التي كانت تنتظر بفارغ الصبر هذه اللحظة **" أمي "**

إلى من كان يحترق كالشمعة ليضئ لي الطريق، إلى من رباني ومنحني الثقة، إلى قائدي في درب الحياة **أبي** حفظه الله وأطال في عمره.

إلى كل أفراد عائلتي إخوتي الأعزاء: **حكيم ـ هشام ــ رمزي ـ رتيبة ــ أميرة ــ آية.**

إلى الابتسامة البريئة: **أمير، إلياس، محمد، إسراء**

إلى جدتي العزيزة أطال الله في عمرها

إلى خالاتي وروح خالي العزيز وعماتي

وإلى خطيبي**" هارون فرحي "** الذي ساعدني وساندني طوال فترة إنجاز هذه المذكرة

بدون أن أنسى من تقاسمت معهم حلاوة الدراسة:**(إيمان، سلمى، هدى، تنسيم، فوفة)**

الطالبة: بسمة العشي

مقدمة

مقدمة:

ميز الله تعالى العربية بجعلها لغة لكتابه الكريم، وأعطاها المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة والمقام الأعلى، فاختلفت عن اللغات الأخرى، واستولت السيادة في كل في كل الجوانب اللغوية منها والأدبية، وأكرمها بأن جعلها وسيلة لنشر دينه العزيز في كل أنحاء الأرض، فحفظت من الزوال.

اللغة العربية كما هو معلوم تزخر بعديد من الأجناس الأدبية شعرا ونثرا، حيث تعددت ضروب النثر العربي وتنوعت وذاع صيتها، ومن بين الفنون النثرية التي ظهرت نالت حيز واسع والأسرع هي الخطابة، لأن الخطابة هي الأقرب والأسرع في التأثير على النفوس، وأبلغها إيصالا للفكرة المرجوة لها من بعيد الأثر خاصة في نفوس الإنسان العربي عامة والجزائري خاصة، ومن أبرز خطباء العرب النبي صلى الله عليه وسلم.

الخطابة الجزائرية جزء لا يتجزأ من الخطابة الإسلامية، حيث لم تأخذ حقها قديما وضاعت معظمها ولم تدون.

ومن هنا كان اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ **" فن الخطابة في النثر الجزائري القديم نماذج مختارة ".**

لقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي معتمدين بآليتي الوصف والتحليل كونه المناسب لهذه الدراسة، ويعود سبب اختياري لهذا البحث هو حول كيفية إلقاء الخطباء والأدباء البلغاء الذين ملكوا ناصية القول في علوم اللغة وفن الخطابة والحديث فوق المنابر وأمام الجماهير.

- ومن هنا يطرح مجموعة من الأسئلة التالية:
  - ماهية النثر وتطوراته وخصائصه؟
  - ما تعريف الخطابة وما هي أنواعها ونشأتها؟

- وما هي خصائص الخطابة في النثر الجزائري القديم؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وجدنا البحث قد تشكل من مدخل وفصلين وخاتمة يتبعها ملحق.

- أما المدخل كان عنوانه: ماهية النثر وتطوره وأهم خصائصه.

تكون من ثلاثة أجزاء، أولا تحدثنا عن مفهوم النثر وتطوره عبر العصور وخصائصه، وفي الفصل الأول عن فن الخطابة حيث تضمن خمس عناوين، أولا عن مفهوم الخطابة لغة واصطلاحا، وثانيا نشأتها وثالثا أنواع الخطابة ورابعا خصائصها وخامسا وأخيرا الخطابة في الجزائر قديما.

وفي الفصل الثاني تطرقت إلى نماذج مختارة من فن الخطابة في الجزائر وهم:

- ✓ سعيد المقري التلمساني " خطبة سور القرآن "
- ✓ خطبة عبد الرحمان التتلاني
- ✓ خطبة أحمد بن منصور

كل خطبة قمت فيها بدراسة تحليلية عامة واستخلاص، وأهم المميزات والخصائص فيهم.

وختمت بحثي بخاتمة حاولت فيها حوصلة بعض النتائج من فهمي البسيط للنماذج المدروسة، كما أضفت في مذكرتي ملحق يحتوي على نماذج الخطب الثلاث.

ولتنفيذ هذه الخطة استندت إلى مجموعة من الكتب والأبحاث السابقة لتكون عونا لي، نستعرض منها ما لي:

- عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر
- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة

- كمال الزماني: حجاجية الصورة في الخطبة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه
- دخية فاطمة: الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني (رسالة دكتوراه)

وأشير في هذا المقام إلى أن البحث في الجزائر القديمة يشكل صعوبة في حد ذاته، وذلك نظرا لقلة المراجع والبحوث، زيادة على تشتت النصوص في بطون الكتب، حيث تطلب البحث على النماذج الجزائرية صعوبة كبيرة والبحث عن أصحاب النماذج التي لا نكاد أن نعثر عليها بتاتا مثل ما حصل معي في الخطب ابن منصور

- وفي الختام لا يحق لي إلا الاعتراف بأن هذا العمل ما كان أن يرى النور ولا أن يتم بالصورة التي قبلت الإشراف على هذه المذكرة برحابة صدر وطيب خاطر، متحملة عناء مراجعتها وتصحيح عثراتها، والبحث معي عن الخطب، فلها مني جزيل الشكر والعرفان، أدام الله صحتها وعافيتها،

والحمد لله على البدء والختام

مدخل

-تعريف النثر

- تطور النثر عبر العصور

- خصائص النثر الفني

مدخل: تطور النثر عبر العصور

تمهيد:

يعد النثر من أبرز الفنون الأدبية وأهمها التي ظهرت عبر العصور، إذ انتشر في العصر الجاهلي ثم تعاقب عبر العصور وذلك لحاجة الناس إليه ومن هذا نتطرق لمفهوم النثر في اللغة والاصطلاح:

1) مفهوم النثر

أ. **لغة:**

عرفه ابن منظور في " لسان العرب " بأنه " نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحب إذا بذر وهو النثار، وقد نثره، ينثره ينثره نثرا، نثرا ونثره فانتثر وتناثرا "[1].النثر مثله لنا ابن منظور هو الشيء الذي ينثر فيتفرق كتفرق حبات الجوز واللوز والسكر، وأيضا ينثر الحب

وجاء في مقاييس اللغة " النون والثاء والراء أصل صحيح يدل على إلقاء شيء مفترق، ونثر الدراهم وغيرها، ونثرت النشأة طرحت من أنفها الأذى، ويسمى الأنف النثرة من هذا لأنه يثير ما فيه من الأذى"[2]. دلنا هذا المفهوم على أن النثر ينثر بإلقاء الشيء فيفترق، حيث مثله بمثال الدراهم بنثرها عند السقوط

[1]ابن منظور، لسان العرب، مادة (نثر)، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 191.

[2] ابن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، 1772، ص 389.

أما في **قاموس المحيط** فقد عرفه الفيروز أبادي بأنه " نشر الشيء ينثره ينثره ونثارا، رماه متفرقا كنثره فانتثر وتنثروا وتناثروا النثارة بالضم والنثر بالتحريك ما تناثر منه أو الأولى تخص بما ينثره من المائدة فيؤكل للثواب وتناثروا: مرضوا فماتوا والنثور: كثير الولد "[1].

بين فيروز أبادي أن النثر يمكن تمثيل به في أي شيء كما بينه لنا في تعريفه أن نثر الشيء أي نثره متفرقا كنثر الأكل في المائدة.

وقد ذكر الزمخشري في كتابه أساس البلاغة تعريفها لغويا لكلمة النثر جاء فيه " نثر اللؤلؤ وغيره، وقد إنتثرو تناثر، ودر منثور ومنثر ونثير، كأن لفظه الدر النثير ونثير الدر، وإلتفظ نثار الخوان ونثارته، وهو اسم للفعل كالنثر، وما أصبت من نثر فلان شيء وهو إسم المنثور من السكر ونحوه كالنثر بمعنى المنثور "[2].

يتضح من خلال هذه التعريفات اللغوية أن كلمة نثر تدور كلها حول معنى واحد حيث حملت معنى الشيء المتفرق الذي يرمي به من غير انتظام ونثر المائدة، ونثر الأنف ونثر اللؤلؤ.

ب. اصطلاحا:

النثر هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان وقواف، وهو على ضربين:

أما **الضرب الأول** فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال وحكم[3].

[1] الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تج: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 479.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، تج: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1998، ص 248.

[3] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف بمصر، (ط6)، (د.ت)، ص 15.

وأما **الضرب الثاني** فهو النثر الفني هذا الضرب الراقي من النثر هو الذي عنى النقاد ببحثه، وتقسيمه، ودراسة كل قسم من أقسامه.

فنقصد بالنثر الفني الذي يرتفع عن لغة التخاطب، والأحاديث الجارية، ويشمل على الصور البيانية، ويوشي بالزخارف والصيغ البديعي ليزيد من حسنه ما دام القصد من ورائه الإثارة والغرض منه الامتتاع[1].فالشر ليس ذالك الكلام العادي والأحاديث المتبادلة بين الناس من أجل التواصل فيما بينهم في مختلف احتياجاتهم، وليس مجرد لغة يتخاطب الناس بها فيما بينهم من أجل أن يفهم الواحد منهم الواحد منهم غيره وإنما النثر أرى من ذلك كله فالمقصود به النثر الفني الفاخر، والغني بالبيان والبديع الذي يزيده حسنا، وإثارة وأكثر متعة وإجلاء.

فالنثر الفني هو الذي يحصد على الكثير من البديع والزخرف نميزها في أنواعه كالخطابة والمقامات وفن الرسائل

2) تطور النثر عبر العصور:

أ. النثر في العصر الجاهلي:

عرف العرب في العصر الجاهلي جميع ضروب الأدب منها ما يعرف بالنثر أو النثر الفني فقد لعب دورا في حياة العرب قديما، لأنه يعبر عنهم وعن أسلوب حياتهم ولغتهم، فقد كان أساسا لترجمة أفعالهم وأقوالهم ومكوناتهم، "إذا كان عرب الجاهلية مشغوفين بالتاريخ والقصص عن فرسانهم ووقائعهم وملوكهم يقطعون بذلك أوقات سهرهم في الليل وحول خيامهم، وأكثر ما يستهويهم من القصص أحاديث قصاصهم عن أيامهم وحروبهم في الجاهلية "[2]. " فقد كان للعرب قديما نثر يتناسب مع صفاء أذهانهن وسلامة طباعهم

[1] زايد أحلام، قروي نادية، النثر الفني عند الجاحظ، من أعاجيب الحياة نموذجا، إشراف بوعامر كريمة، مذكرة مقدمة لنيل ليسانس في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، 2012،2013.

[2] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف بمصر، ط.6، (د.ت)، ص 15.

"[1]. ومن أهم ما يدل على وجود النثر ونسبه للعصر الجاهلي " خطب وفود كسرى "[2]. وهي خطب طويلة فصيحة مثبتة، ونجد كذلك شاهدا من شواهد النثر الجاهلي يصح الاعتماد عليه وهو القرآن.

ولا ينبغي الاندهاش من عد القرآن أثرا جاهليا، فإنه من صور العصر الجاهلي إذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعابيره وهو بالرغم مما أجمع عليه المسلمون من تفرده بمواصفات أدبية لم تكن معروفة في ظنهم عند العرب، يعطينا صورة للنثر الجاهلي وإن لم يكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تماما المماثلة للصورة النثرية عند غير النبي من الكتاب والخطباء[3].

وللفن جانب آخر للكلام أن هناك رأي مغاير تماما يقول أنه لا يوجد نثر فني في العصر الجاهلي ولم يعرفوا بما يسمى بالكتابة الفنية، لأن الأمة العربية قبل الإسلام كانت أمة شعر لها حياتها الخاصة.

وللفن جانب آخر للكلام أن هناك رأي مغاير تماما يقول أنه لا يوجد نثر فني في العصر الجاهلي ولم يعرفوا بما يسمى بالكتابة الفنية، لأن الأمة العربية قبل الإسلام كانت أمة للشعر.

وهذا ما يوافق رأي المسيومرسية(Messianique) ومن شايعه الدكتور طه حسين، وذلك الرأي " يقضي بأن العرب في الجاهلية كانوا يعيشون عيشة أولية (primitif) والحياة الأولية لا توجب النثر الفني لأنه لغة للعقل وقد تسمح بالشعر لأنه لغة العاطفة والخيال"[4]، وهذا الرأي أعلنه المسيومرسية(Messianique)في المحاضرة التي افتتحبها

[1] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الجزء الأول، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1352 هـ/1934م، (ط.1)،(د.ت)، ص 34.

[2] المرجع نفسه، ص 36.

[3] المرجع نفسه، 38.

[4] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مرجع سابق، ص 33-34

دروسه في مدرسة اللغات الشرقية، لقد كان الميسومرسية(Messianique)محقا في تفسيره بعدم وجود نثر فني في العصر الجاهلي لأنه ربطه بالعقل ونحن على قناعة تامة بأن الجاهليين بتميزهم في النثر العادي وطرحه في أسلوب حياتهم عكس التفكير بالعواطف والمشاعر.

فالعصر الجاهلي لم يكن له نثر فني بمعنى، فالعرب في الجاهلية " في هذين النوعين من الحياة على العاطفة والشعور أكثر من اعتمادها على الحكمة والرؤية، تندفع بحكم هذا الشعور إلى الحرب أو السلم أو الخصومة، أو إلى أي ناحية من نواحي الحياة الجاهلية"[1].

ب.**النثر في صدر الإسلام:**

عرف العرب في العصر الجاهلي الأدب لكن بعد مجيء الإسلام فتح صفحة جديدة وأكثر إشراقا في تاريخ النثر العربي، وذلك لأنه تمثل بروح الإسلام في لفظه ومضمونه، " ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وينقل العرب وغير العرب، من حياة الفوضى والهمجية والخرافة الوراثية والعداوة والبغضاء إلى حياة مدنية قوامها سعادة الجنس البشري وهناءته "[2]. فالإسلام هو دين المساواة والعدل والصلح والتعاون والتآزر كل هذا أسهم بشكل كبير في تفسير حياة العرب وغيرهم من الشعوب. ولما ظهر الإسلام واتسع نطاق الحكم العربي تعقدت مصالح الدولة وأصبح النثر وسيلة التغيير في العلاقات القائمة بين الحكام والمحكومين، والرؤساء والمرؤوسين، ولذلك تكون بجميع ألوان الحياة الجديدة فكان خطابه، وكان كتابه، وكان رسائل وعهود كما كان أخيرا قصصا ومناظرات وتوقيعات، والجدير بالذكر أن هذا الأدب النثري كان، في المرحلة الأولى، ربيب الخلفاء والأمراء

[1] طه حسين، من حديث الشعر والنثر، دار المعارف بمصر، ط1، ص 23.

[2] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف بمصر،ط6، د.ت، ص 32.

والولاة يستعملونه لإحكام ما بينهم وما بين الناس من صلات، وكان في أسلوبه التعبيري، امتدادا للنثر الجاهلي للقرآن ينبت على أصالة عربية في نزعة إيجازية وتوجيه اجتماعي[1].

تمكن الحكام والرؤساء القدامى من التعبير عن ما يريدونه من الشعب بالخطب النثرية، فهي وسيلتهم للتواصل.

فالقرآن جاء بتعاليم عقائدية وأخلاقية ساهمت في تغيير الكثير، هدم الإسلام الوحدة القبلية والوحدة الجنسية، وكره التفاضل بشرف القبيلة أو شرف الجنس، وعلم أن معتنقي الإسلام كلهم كتلة واحدة، لا تفاضل بين أفرادها إلا بطاعة الله وتنفيذ أمره، لا شك أن هذه التعاليم رفعت المستوى العقلي للعرب إلى درجة كبرى[2]. أثر القرآن في الأدب كان بنسبة كبيرة في معتقداته وعقائده ساهم في تغيير الكثير من العصر الجاهلي، أي أن الإسلام لا يهدف إلى الطبقية ولا التفاضل بين الأفراد.

كما كان للقرآن أثر كبير في العالم الأدبي والعلمي فقد وحد اللغة العربية وحفظها ووسع نطاقها، وعمل على تليينها وتهذيبها، ثم إنه كان أساس العلوم اللغوية والبيانية عند العرب، وهو أبدا المثال الأعلى في البلاغة والفصاحة[3]. فما قام القرآن بتوحيد اللغة العربية وحفظها، حيث كان السبب في توسيع نطاقها وعملوا على أسس كثيرة منها.

وكان طبيعيا أن يستعين العرب أمام هذه الذروة الرفيعة من البلاغة والبيان وهي ذروة ليس لها في اللغة العربية سابقة ولا لاحقة ذروة جعلت العرب حين يستمعون إلى آية تعنوا وجوههم لربهم ويخزون ركعا وسجدا مشدوهين بجماله مبهورين ببلاغته وفي ذلك يقول جل وعل " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " ويقول " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 322.
[2] المرجع نفسه، ص 328-329.
[3] المرجع نفسه، ص 333.

خاشعا متصدعا من خشية الله " ولا يزال هذا الشعور الذي كان يختلج في قلوب العرب الأولين تخفق به القلوب في كل عصر لما يفتح من أفاق العالم العلوي ولما يؤثر به من صميم الوجدان الروحي[1].

فالقرآن هو الذي حفظ اللغة العربية خلال القرون المتطاولة السابقة، وقد حول العربي من إنسان جاهل يؤمن بالخرافات إلى إنسان محب للعلم مشغوف بالمعرفة، يطلبها أينما كانت، ولم يلبث أن فتح له الأرض فدخلت إلى العربية أمم شاركت في لسانها وأدبها، وتعاونت في تلك النهضة الروحية والاجتماعية والأدبية العلمية، ومن الحق أن كل ما كسبته لغنى من آداب في الشعر والنثر ومن علوم شرعية ولسانية وعقلية وفلسفية، إنما كان بفضل القرآن[2]. تميزت اللغة العربية بعد دخول الإسلام، وحسبها قيمة القرون الماضية، حيث كان العربي إنسان جاهل يؤمن بالخرافات والبدع لاكن بعد دخول الإسلام أصبح إنسان عليم بكل الأمور.

وكذلك لا ننسى فضل الحديث النبوي فهو الأصل الثاني للإسلام فكان له " أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي، فقد أقبل عليه الناس يتدارسونه إقبالا عظيما، فعن طريقه انتشرت أنواع من الثقافة في التاريخ الإسلامي[3]. بعد القرآن يأتي الحديث النبوي الذي له الفضل أيضا في تميز اللغة وهو الأصل الثاني، ويبين لنا العديد من الثقافات.

ت. **النثر في العصر العباسي:**

استمر النثر بالتطور عبر العصور المختلفة بداية من العصر الجاهلي وصولا إلى العصر العباسي، " ترجم الفرس كثيرا من تراثهم غلى العربية ومن أشهر من قاموا بهذا الصيغ عبد الله بن المقفع وآل نوبخث، ويخيل إلى الإنسان أنه لم يتق أثر في اللغة

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف بمصر، ط6، د.ت، ص 45-46.

[2] المرجع نفسه، ص 47.

[3] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، (الأدب القديم)، مرجع سابق، ص 334.

البهلوية لا ترجم إلى العربية سواء بتاريخ العباسين أو بآدابهم"[1]. تطور النثر تطورا كبير في هذا العصر لأن العباسيين ترجموا العديد من الثقافات مما جعل من النثر متنوعا من عديد الثقافات: كالثقافة الهندية واليونانية والفارسية وغيرهم، والذي " لا ريب فيه أن هذه الثقافات الدخيلة التي نقلت إلى العربية وسعت طاقتها، بما اكتسبت من المعاني العقلية والفلسفية، وقد أصبح النثر العربي نثر ثقافة متشبعة، تمدها روافد كبيرة من إيران والهند واليونان، وليس ذلك فحسب، فقد أخذت تدخل في هذا النثر طرائق النظر الأجنبية وأساليب الأجانب في تفكيرهم"[2].

وبذلك اتسعت لغة الصحراء، وأصبحت لغة ثقافية ذات أسلوب مرن يستوعب كل ما لدى الأجانب من كنوز المعرفة ومذاهب الفلسفة مما كان له أثر في الأدب نثره وشعره، وعلى هذا النحو أصبح النثر العربي في العصر العباسي متجددا الفروع فهناك النثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر التاريخي، والنثر الأدبي الخالص وكان بعض صوره امتدادا للقديم، وكان في بعضها الآخر مبتكرا لا عهد للعرب به.

" لقد كان لذلك الانقلاب العباسي أثر عظيم في العقول والميول ظهر على أقلام الكاتبين وألسنتهم، فقط استنبطوا عيون المعاني، وتخيروا شريف الألفاظ، مما لم يكن حوشيا ولا سوقيا، وفتحوا أبواب البديع، وعنوا بالتنميق والتنسيق، ولم إبتحر العمران، وطما بحر الخراج، واتسع نطاق الدولة، " لم تعد الكتابة " مقصورة على الدواوين، بل تعدها إلى وصف الحضارة الجديدة بما فيها من لهو وترف وقصور ورياض، وإلى وصف النفس البشرية بما لها من نزعات وأهواء، ونقد الكتب الأدبية وشرحها، وبسط المسائل العلمية والدينية ورواية القصص والأخبار الخيالية والتاريخية والمفاخرات وإلى ما ذلك، وتعددت فنون الكتابة في العهد العباسي، فكان منها الرسائل الإخوانية في الشكر والعتاب والتعازي

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف بمصر، ط6، د.ت، ص 122.

[2] المرجع نفسه ص124.

والتهاني والاستعطاف إلى غير ذلك، ومنها التصانيف العلمية والأدبية ومنها المقالات، والمناظرات والعهود، والروايات القصصية، والمنامات...، ظهور الفلسفة والعلوم في النثر العباسي فاتسع مجال التفكير وعنى الكتاب بربط الأسباب بالمسببات، وامتدت العقول، بتأثير النقل والترجمة، إلى وضع الكتب اتباع الأساليب التضييفية "[1].

ومن أشهر رواد النثر في العصر العباسي:

- **إبن المقفع:** وكان من ذوي العقول، أشهر كتبه دليلة ودمنة والأدب الكبير، والأدب الصغير، ورسالة الصحابة
- **الجاحظ:** من مؤلفاته: الحيوان، البخلاء، البيان والتبين.

ث. النثر في العصر الأموي:

كان النثر الفني في العصر الأموي قد أرك مكانة رفيعة فإن ذلك نتيجة حتمية لارتقاء الأسلوب الأدبي، وتنوع سياقاته ودلالاته، ولاسيما الخطابة، والترسل والكتابة بصفة عامة.

كما تأثر الأمويين بما لدى الأجانب، فقد كان العرب ناشرين للدين الإسلامي، وقد انصلوا اليهود ومجوس والنصارى وحدثت بينهم وبين هؤلاء جميعا أحاديث ومناقشات تسرب إليهم في أثنائها كثير من الفكر الأجنبي وخاصة من شعب الفكر اليوناني في الفلسفة والمنطق[2].

أن العصر الأموي كان عصر ثقافة رفيعة، وذوق أدبي راقي اتصف بهما الأمير الوالي والقائد، وغير قليل من أهل العلم والرأي، فاتخذ التعبير لديهم أساليب متنوعة، متآلفة من الجودة والبراعة، فبرزت أسماء في رحاب هذا الفن كان لها أثرها البارز في الارتقاء بالنثر

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، (الأدب القديم)، مرجع سابق، ص 553.

[2] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص 100.

إلى مستوى النموذج الذي يحتديبه، فكان الخطباء والشعراء والكتاب أعلام هذه المرحلة في تاريخنا الأدبي[1].

ج. **النثر الجزائري القديم:**

الجزائر كغيرها من الدول العربية، والأجنبية استقبلت العديد من الحضارات مما جعلها ترث تاريخا غنيا، ولقد كان لهذا الزحم التاريخي الكبير دور مهم في تشكيل الشخصية الجزائرية عبر العصور، ومكن من تكوين إرث ثقافي كبير كان له حضور خاص في المنتوج الإبداعي في الجزائر وهذا استدعى ظهور العديد من الفنون من بينها النثر الفني، الذي لاقى تطورا وازدهارا في جميع مجالاته وذلك لتنوع الثقافات، والظروف التي عايشتها الجزائر في ذلك الوقت، من بينها العهد العثماني، " وما يستكشف من تاريخ الدولة العثمانية في الجزائر أن العثمانيين قاموا بأعمال أسهمت في تحديد الإسلام، وأعادوا إليه بريقه وعنوانه في الجزائر "[2].

كان للغة العربية تأثيرها البارز على اللغة التركية التي استعارت منها ألفاظها وعباراتها، فجاءت القواعد والعروض المطابقة للقواعد التركية " ذلك أن الأتراك أخذوا يتعلمون العربية ويكتبون بالحروف العربية إثر دخولهم في الإسلام "[3].

كما تعد أشكال النثر في الجزائر خلال العهد العثماني من مقامة ورسالة بنوعيها الخطابة والإجازة واختلفت من كاتب لآخر وإلا أن هذا الأجناس الأدبية كانت نادرة.

نجد المقاومة في الأدب الجزائري القديم خلال العهد العثماني ضعفت شكلا ومضمونا واستمدت بسمة العصر ومن الكتاب الذين تناولوا هذا الفن أحمد البوني في كتابه المسمى

---

[1] حسين علي الهناوي، أشكال الخطاب النثر الفني الأموي في المشرق، (ج.ح.م)

[2] دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، إشراف الأستاذ الدكتور، تبرماسين عبد الرحمان، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص 20.

" أعلام الأحبار بغرائب الوقائع والأخبار " موضوعها هو علاقة العلماء بالسلطة والملاحظ على هذه المقامة أنها جاءت على شكل خطبة بعيدة كل البعد عن المقامة التقليدية البديعية[1].

اتسم هذا العهد بركود الحركة الأدبية لأسباب كثيرة " فالولاة لا يفقهون العربية ولا يتذوقون أدبها، بالإضافة إلى ضعف مستوى الثقافة إلى منافسة اللغة التركية، أما الجزائريون الطموحون إلى العلم والأدب فقد اختاروا طريق الهجرة حيث يجدون الرعاية والاعتراف لإنتاجهم وفضلهم "[2].

كما نجد الخطابة والرسالة لم يصلنا الكثير من خطب ورسائل لأنها لم تكن مدونة.

3) خصائص النثر الفني:

ظهر في النثر الفني مجموعة من الخصائص التي برزت منذ العصور الوسطى، إذ كانت هذه الخصائص تؤكد قيمة العمل الفني وكمية قدرة إبداع الكاتب في ذلك، ومن أبرز هذه الخصائص نذكر:

- إيثار البديع، فقد كان الكتاب السابقون يميلون إلى المحسنات البديعية ولكن في غير إسراف فلما جاء كتاب القرن الرابع قصدوا إليها قصائد، وأسرفوا في الكتابة بفنون ومتوازنة والمطابقة والجناس، وآية ذلك أن مؤلفي في القرن الثالث ما كانوا يحرصون كل الحرص على المحسنات اللفظية، بل كانوا يلمون بها إلمامة خفيفة، فلما جاء مؤلفو البلاغة في القرن الرابع حرصوا عليها أشدا الحرص حتى استطاع أحدهم أن يقول وقد ألف للألفاظ غير كتاب فقيل: " أصبح الفاسد، وسد الثلم، وأسا الم" فوزن أصلح الفاسد مخالف لوزن ضم

[1] المرجع نفسه، ص 245.

[2] دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 245.

النثر، وكذلك سدا وأسا. ولو قيل: " أصلح الفاسد، وألف الشارد وأصلح ما فسد، وقوم الأود " أو قيل " صلح فاسدة، ورجع شاردة " لكان في استقامة الوزن واتساق السجع غرض من تباين اللفظ وتنافي المعنى والسجع[1].

- النثر يعد لغة أدبية مثيرة للنفس والشعور.
- النثر مقتصر على العقل[2].
- التزم السجع في جميع الرسائل، حتى الرسائل المطولة التي يراد بها تقييد مناظرة أو شرح مسألة كالذي وقع فيما كتب بديع الزمان الهمداني عن المناظرة التي كانت بينه وبين أبي بكر الخوارزمي، وكان الكاتب وقيل ذلك يسجعون، ولكنهم لم يكونو يلتزمون السجع في جميع الموضوعات[3].
- ألف كتاب القرن الرابع كتابه في بعض الموضوعات التي كانت خاصة بالشعر كالغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف، وذلك لأنهم نقلوا إلى النثر محاسن الشعر من الاستعارة والتشبيه والخيال، والنثر إذا أخص خصائص الشعر أصبح أقدر منه على الوصف لخلوه من قيد الوزن والقافية، وكذلك أصبح النثر في القرن الرابع أداة لتقييد الخواطر النفسية والملاحظات الفنية، حيث يرى القارئ من جمال الصيغة ودقة الأسلوب ما يغنيه عن التفكير في قصائد الشعراء الذين يسبقهم هؤلاء الكتاب إلى ما يقضي به العقل، أو يوحي به القلب أو يشير إليه الخيال[4].
- عدم التقيد بصيغة خاصة في بداية الكتب، فقد كان القدماء يحرصون على الابتداء بحمد الله والصلاة على نبيه، بعد عبارة من فلان إلى فلان التي كثر

---

[1] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مرجع سابق، ص105.

[2] عثمان موافي، في نظرية الأدب من القضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص 34.

[3] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مرجع سابق، ص106.

[4] المرجع نفسه، ص 107.

ورودها في القرن الأول، ولكن كتاب هذا العصر أخذوا يجرون على فطرتهم في تخير البدايات فمنهم من يبتدأ بيت من النثر أو بحكمة مأثورة أو مثل معروف أو قصة صغيرة ثم يدخل في الموضوع ومنهم من يكتب في الموضوع مباشرة من غير أن يتقدمه بشيء[1].

[1] المرجع نفسه، ص 110.

الفصل الأول: فن الخطابة

أولا: تعريف الخطابة

ثانيا: نشأة الخطابة

ثالثا: أنواع الخطابة

رابعا: خصائص الخطابة

خامسا: الخطابة في الجزائر قديما

الفصل الأول: فن الخطابة

أولا: تعريف الخطابة

للخطابة اهتمام كبير منذ القدم عن العلماء الغربيين العرب، حيث حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة، لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة[1]. فالخطابة فن تعددت تعاريفه اللغوية بتعدد وتنوع المعاجم التي تناولت هذا الفن حيث ورد فيما يأتي:

أ. **لغة:**

وردت صيغة (خطب) في القرآن الكريم في أماكن مختلفة تشترك في الإطار اللغوي لهذه اللفظة، إذ يقول سبحانه وتعالى " فقال أكفلنيها وغزيني في الخطاب "[2]. يعني به الشأن والأمر وإن كان صغيرا أو كبيرا.

الخطاب هو الكلام، وفصل الخطاب، ما ينفصل به الأمر من الخطاب[3]. وفي تنزيل العزيز " وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب "[4]. الخطاب كلام يفصل به الإنسان الحكيم العليم في أمور الدنيا.

وفصل الخطاب أيضا: الحكم بالبينة، أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق بأما بعد، أو أن يفصل بين الحق والباطل[5]. هنا بين لنا في هذا التعريف اللغوي أن الخطاب يتميز بالحكم، حيث يكون الخطيب إنسان بالغ كلامه منثور وموزون يتمتع بالحكمة.

وجاء في لسان العرب لابن منظور: " يقال: خطب فلان إلى فلان خطبة أو خطبه، أو أجابه، الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما

---

[1] محمد العمري، في بلاغة الخطاب ألإقناعي، إفريقيا الشرق، المرغب، ط2، 2002، ص 13

[2] سورة ص، الآية 23.

[3] معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1425هـ/2004م، ص 243.

[4] سورة ص، الآية 20.

[5] المعجم الوسيط، ص 243.

يتخاطبان، قال الليث: والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر واختطب يخطب خطابة...ورجل خطيب حسن الخطبة، وجمع الخطيب خطباء وخطب بالضم خطابة بالفتح صار خطيبا..."[1]. حاول ابن منظور في تعريفه أن الخطابة متعددة بأشكالها ومفهومها خطب خطيب خطابة يخطب كل له معناه الخاص.

والخطبة إسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر الجوهري...ذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجع[2]. فالمعنى أن الخطبة هي وسيلة للتأثير في نفس المستمعين على يراد منه من فهم وإقناع.

" خطاب ": مصدر خاطب، ما يكلم الإنسان صاحبه، رسالة

" خطبة ": ج خطب، مصدر خطب، ما يخطب به من الكلام[3].

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: " خاطبة أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام والمجاز: فلان يخطب عمل كذا، يطلبه، وأخطبك الأمر، وهو أمر مخطب ومعناه أطلبك من طلبت إليه حاجة فطلبني "[4]. بين الزمخشري لنا أن الخطاب هو غاية يريد بها الخطيب الاستمالة والإقناع في نفس المستمع.

الخطاب: مراجعة الكلام، والخطبة: مصدر خطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادي فقال: خطب، ومن أراده قال: نكح، وجمع الخطيب خطباء وجمع الخاطب خطاب، والخطب: المرأة، وهو زوج، والمخطبة الخطبة إن شئت في النكاح، وإن

[1] لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، ج1، (د.ط)، 1388هـ / 1986م، مادة خطب، ص 360.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (خ لا ب)،ط2 ، مؤسسة الرسالة، 1987.

[3] جبران مسعود، رائد الطلاب المصور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص 366-367.

[4] الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، د.ط، 2000، ص 167-168.

شئت الموعظة[1]. كانت الخطبة قديما عبارة عن طلب يأتي من الرجل للمرأة بغرض الزواج.

خاطبه: كالمه وحادثه، الخطاب: الكلام والرسالة، الخطب: الحال والشأن،

الخطبة: من الكلام المنثور ومن الكتاب صدره[2].

- فمن هنا يتبين أن الخطابة متعددة التعاريف اللغوية وأنها كلام منثور يلقيه صاحبه على جمع من الناس ليعبر عما في داخله إلى الذي يخاطبه، فإذن هي وسيلة للتعبير عن مراد ما.

ب. **اصطلاحا:**

حظي مصطلح الخطابة بجملة من التعاريف التي نالت اهتمام الفلاسفة والأدباء فوضعوا له تعاريف كثيرة ومتعددة منها:

وابرز التعاريف كان التعريف الذي قدمه أرسطو والذي يقول فيه: " الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل من الأمور المفردة "[3].الريطورية ملكة داخلية يتمتع بها الإنسان، للإقناع والتأثير فالريطورية تلعب دورا مهما في الخطابة.

وقد فسر عدد من الفلاسفة المسلمين هذا التعريف، وفصلوا القول في مفرداته مفردة مفردة، حتى صار واضحا في معانيه ومقاصده[4]، ومن بين هؤلاء، نجد ابن سينا الذي يقول: " فقولنا " قوة " نعني ملكة نفسية تصدر عنها أفعال إرادية، وهي أوكد من القدرة،

---

[1] أحمد خليل الفراهيدي، معجم العين، باء الخاء، تحق : عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، 419/1.

[2] إبراهيم فلاني، (قاموس مدرسي)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط حديثة، 2010، ص 161-162.

[3] أرسطو، طاليس، الخطابة، تحق، عبد الرحمان البدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم بيروت، لبنان، 1985، ص 104.

[4] كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام على " رضي الله عنه "، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، 2012، ص 148.

فإن القدرة ساذجة قد توجد في كل إنسان لكن الملكة التي تحصل إما عن قوانين تتعلم أو عن أفعال تعتاد توجد في الفرد منهم، وقولنا " تتكلف "...يراد به أن تتعاطى فعلا بأبلغ قصد لإتمامه...وقولنا " الإقناع الممكن " هو تفسير الفعل الذي تتكلفه، ومعناه ما يكون من الإقناع ...وقولنا " في كل واحد من الأمور المفردة " معناه في أي جزئي من الجزيئات كلها، وفي أي مقولة اتفقت، فيكون قولنا " المفردة " يدل على المقولة، ويكون قولنا " كل واحد " يدل على أن كل جزئي من كل مقوله فهو موضوع له "[1]. أدخل لنا ابن سينا في مفهومه للخطابة دراسة علمية، أن القوة لها تأثير كبير على الخطيب أي يملك القدرة على الكلام بطلاقته تصدر منه بإرادته، لاكن القدرة ليست في كل إنسان أما القوة يستطيع أي أحد التسجع بإرادته.

عرفها أيضا الجرجاني بقوله: " هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ "[2]. فالخطابة لدى الجرجاني بيان مركب من شخص يريد الاستمالة وغرضه ترغيب الناس بما ينفعهم ويفيدهم.

الخطابة في اصطلاح الحكماء: " مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد، والإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك "[3].

وفي تعريف آخر " الخطابة هي فن من الفنون النثرية عند العرب، وقوامه الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة، يعتمها الخطيب لإقناع سامعيه بصواب فكرة أو نثر مبدأ أو

---

[1] ابن سينا، الشفاء، تحق: أحمد فؤاد الإهواني،ج4، د.ط، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، 1404، ص 28-29.

[2] عبد القاهر الجرجاني، معجم التعريفات، باب خاء، تحق: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت، ص 87.

[3] علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، د.ط، د.ت، ص 13.

عقيدة...مستعينا على إبلاغ غرضه لما يضاعف ويساعد طاقة النطق الشفهي من نبر مستساغ وإشارة موحية، وصوت إيقاعي مؤثر وكل ما يستطيع أن يستحوذ به قلب جمهوره من بث العاطفة وإثارة الخيال، ويستهوي عقله من منطق سديد وبرهان أكيد، وحجج لا يقف بوجهها ريب ولا شكوى "[1]. لكل خطبة موضوع يريد به الإقناع، بهدف استمالة المستمعين.

عرفها أيضا أبو زهرة الذي عدها علما فقال: " إنها مجموع القوانين التي تعرف الدارس طرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب، فهو يعني بدراسة التأثير ووسائل الإقناع، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها وهو بهذا ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة، ليربي ملكاته وينمي استعداداته. ويطلب لما عنده من عيوب، ويرشده إلى طريق إصلاح نفسخ ليسير في الدرب، ويسلك الطريق "[2].

يمكن القول بالمعنى إنها جنس أدبي يمتاز بالفصاحة والبلاغة، وقوة الحبكة.

وبمعنى آخر: " فن التعبير عن الأشياء بحيث أن السامعين يصغون إلى ما يقوله المتكلم في موقف رسمي مختلف عن المجالس المألوفة في الحياة اليومية، وهي تشد عادة الرابط بين أذهان السامعين من جهة، والأفكار التي تناهي إليهم من جهة أخرى، وهذا يفرض على المتكلم أن يكون ذا ثقافة واسعة ليتواصل إلى تنسيق خطبته وتوضيح الأفكار التي يعالجها وطريقة عرضها لتتوقف مع المحرضات النفسية والعقلية في الجمهور[3]. إذا الخطابة تختلف عن أي فن آخر كونها تضم مجلسا مختلفا يختلف عن كل المجالس فهي تضم عادة جمعا غفيرا من الناس، وتحمل جوا مختلفا عن الأجواء التي تعودها

[1] محمد التنوخي، فن الكتابة والقول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ /2000م، ص 183.

[2] محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مطبعة العلوم، مصر، ط1، 1934، ص1.

[3] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 103.

السامعون، فهي تدرس موضوعا اجتماعيا معينا إما لنقده وتغييره إن كان قبيحا، وإما للثناء عليه إن كان حميدا وترسيخه في أذهان المتكلمين، فهي ترغيب في شيء محمود، أو ترهيب من شيء مذموم[1].

وأيضا هي " فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته "[2]. يعتبر هذا التعريف الأدبي يرتكز على المتلقي قصد توجيهه واستمالته وإقناعه.

أما مفهومه عند الغرب فقد " ناله التعدد والتنوع، وذلك بتأثير الدراسات التي أجراها عليه الباحثون، حسب اتجاهي الدراسات اللغوية التشكيلية والدراسات التواصلية، ولهذا يطلق إجمالا على أحد المفهومين يتفق في أحدهما مع ما ورد قديما عند العرب، أما في المفهوم الآخر، فيتسم بجديته في الدرس اللغوي الحديث، وهذان المفهومان هما:

- أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير بإفهامه قصدا معينا.
- الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة "[3].

فهنا نستنتج أن المعاني الاصطلاحية للخطبة تدور جميعها حول كونها دالة على فن القول والإلقاء بغرض التأثير والإقناع، حيث تمتاز بالفصاحة والبلاغة وقوة الحبكة، بمخاطبة المستمعين، فيأخذ نفوسهم ويستحوذ على عقولهم وقلوبهم كما له من سبيل الإقناع والقول المفيد.

[1] ينظر: سعيد جعفري، بلقاسم موساوي، فن الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أبو يعلى الزواوي، نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أدرار، 2012/2013، ص 05.

[2] أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط4ن ص 5.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص

ثانيا: نشأة الخطابة.

الحديث عن الخطابة يتعلق بالإنسان بوصفه مجموعة أو قبيلة، فالإنسان يعيش مع إخوانه وأخواته من بني الإنسان، وقد عرفت البشرية خطابة من نشأتها،ذلك أن الإنسان مدني بفطرته لا يستطيع أن يعيش منفردا أو معزولا عن الجماعة. ولا بد أن يتآلف مع غيره، في مجموعة معينة، تربطها صلات القرابة أو المصاهرة، أو التعاون في جذب المنافع ودفع الأضرار.

فهي ضرورة اجتماعية وسلاح معنوي حيث تسلحوا الناس في حياتهم القديمة بأسلحة مادية للدفاع والعدوان، وتسلحوا أيضا بسلاح معنوي وهو اللسان، ومازالت الخطابة إلى الآن سلاحا مرهفا به الأمم، وإن جيشت جيوشها وإفتنت في اختراع القذائف والمدمرات[1].

لذلك لم يخل من، من الخطابة سجل أمه وعى التاريخ ماضيها، فقد حفظها خط آشور المسماري. وفيها خط الفراعنة الهيروغليفي، ثم رواها تاريخ اليونان السياسي والأدبي منذ القرن السابع قبل الميلاد، وبها أخضع بوذا الجموع الهندية لتعاليمه، وبها أذاع الدين أنبياء بني إسرائيل، وكان لهما مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الإسلام وفي أسواقهم الأدبية بنوع خاص[2]. فبهذا الخطابة كانت ولا تزال الملكة الراسخة في نفس المتكلم، يستخدمها الإنسان للإقناع.

1. نشأة فن الخطابة عند اليونان والرومان:

يرجع تاريخ علم الخطابة بالتحديد إلى القرن 5 ق م في الإغريق، عندما سلبت الحكومة ممتلكات الشعب بقوة، حتى ظهر احتجاج من جماهير الشعب، وعقدت المحاكمة، فعند ذلك طلب الجمهور من ابتكر فن الخطابة، ثم طورها أحد تلاميذه "

[1] محمد أحمد الحوفي، فن الخطابة، مرجع سابق، ص 39.

[2] المرجع نفسه، ص39.

تيسياس"tisiasوأخيرا قام بترتيبها وتنظيمها حيث كانوا.اليونانيين هم أول من دون قواعد الخطابة على يد أرسطو ألف كتابا منهجيا مفصلا في فن الخطابة سماه " الخطابة "[1].

قضت بلاد اليونان حقبة زمنية طويلة في حروب ومشادات بين قبائلها المفككة " وقد إعتمدت في كل مواقفها على الخطابة مما أكسبها نضجا وقوة ونالت مكانة معتبرة في حياة وأخلاق اليونانيين فسمت " فضيلة القول، والتعبير البليغ، وتقدم الخطيب على العالم والفيلسوف، دائبا للمنفعة التي تحدس له، من دون الحقيقة "[2]. اعتماد اليونانيين على الخطابة أكسبها دورا بارزا في عصرها ونالت مكانة كبيرة.

تعد أسباب رقي الخطابة اليونانية إلى ما يلي:[3]

- قيام الحروب والمناوشات التي كانت أساسا تعتمد على الخطابة وذلك بتأييد رأي أو تنفيذه، وتحفيز المحاربين واستنهاض في خطبهم.
- النظام السياسي القائم كان مشجعا للخطابة ففتح بابا واسعا أمام الآراء المختلفة التي يعبر عنها الخطباء في خطبهم.
- نظام اليونان القضائي كان هو الآخر مشجعا على الخطابة وذلك دفع المحامين إلى الاهتمام بها " ونخير القول المؤثر في عواطف القضاة ".
- أما شأن الخطابة في العصر الروماني فكان أيضا يتميز بنشاط جيد، ظهرت بعد ظهورها في اليونان بأمد بعيد، وذلك ببروز خطابة وخطباء أمثال **شيشرون** الذي عد كأشهر خطيب روماني[4]، ففتحوا المدارس في مدينة روما وغيرها منذ القرن

[1] عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1986، ص15.

[2] ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق وتقديم عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960، ص 29.

[3] عيسى بن ساعد مدور، مرجع سابق، الخطابة وإعداد الخطيب، ص 145.

[4] ينظر الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها (1931/1954) إعداد عيسى بن ساعد مدور، إشراف: عبد القادر دامخي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 09.

الأول الميلادي، حيث تدرس فيها مادة الخطابة ويتمرن تلاميذ في هذه المدارس على الخطابة.

2. نشأة الخطابة العربية " الجاهلية والإسلام ".

الناظر في الأدب العربي القديم يقع بصره على أن العرب اهتموا بالشعر أكثر من اهتمامهم بالنثر، من حيث روايته وتوثيقه ونقده وتحليله، مع أنه ماد خصبة تستحق أن نقف عندها، وهي جديرة بأن تحظى بدراسات معمقة لفحصها والتمعن فيها.

فالنثر هو الوجه المشرق في كل عصر من العصور يعكس الجوانب الإيحائية والجمالية في كل مناحي الحياة، كما أنه يمثل حياة العربي وأصالته الغربية، التي تقوم على مكارم الأخلاق والعفة وحسن الجوار وغيرها من الخصال التي تميز بها الإنسان العربي، لقد عرف العرب الخطابة منذ الجاهلية، إذ هي فن من الفنون النثرية العربية التي لم يصل منها إلا القليل كالحكم والأمثال والوصايا، ولقد كانت الفنون النثرية خصوصا تمثل جانبا حسنا في الأدب الأدبي: ولقد حرصت الخطابة على إظهار الأخلاق الحميدة، والسيرة الشريفة، وتوجيه الأمة إلى الكمال، والحياة إلى الأفضل، من خلال تلك النصوص التي تعتبر دليلا شامخا على نيل هذه الأمة وبرهانا ساطعا على سلوكها، وشعلة منيرة أضاءت للأجيال مسالكهم "[1].

ولشدة عنايتهم قديما بالشعر دون الخطابة لصعوبة حفظ النثر، لم يصل إلينا أحوال خطبهم الأوائل عند التأدية، ولا شيء من خطبهم ولم تعن الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم، إلا بعد أن وصلت الخطابة إلى منزلة أرقى من الشعر، عندما اتخذت وسيلة للعيش والطعن على الأعراض فعلا بذلك شأن الخطابة، وكان لكل قبيلة خطيب كما كان

[1] ينظر، النثر في العصر الجاهلي، هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 09.

لكل قبيلة شاعر يحفظ مكانتهم، ويعظم من شأنهم ويخوف على عدوهم[1]. فتميزت الخطبة بخاصائص كثيرة منها:

- القصد من الخطبة امتلاك القلوب واستمالة النفوس كما هو الشأن في الشعر، حيث كان الاعتماد فيها على الأقوال الخطابية المحركة للعواطف والمؤثرة في النفوس بألفاظ عذبة وكثرة الأسجاع والأساليب.
- وإكثار استعمال الخطب في مواضيع التحريض على القتال والتحكيم في خصوصيات وتحمل الديات وإصلاح ذات البين، وانقسام الخطب الجاهلية إلى قسمين: " الخطبة الطويلة الوافية والخطبة الصغيرة الكافية "، فأغلب الخطب في الجاهلية قصيرة لانطباعهم على الإيجاز، ولأنها على الحفظ أسرع، وكانت لهم العناية بسرد كثير من الحكم والأمثال خصوصا في الخطب القصيرة، أما الخطب الطويلة فكانت مستخدمة في شأن الصلح وهم يستحسنون الإطالة فيه[2]. استمالة الخطب على التحريض والقتال، حيث امتازت بقسمين الخطب الطويلة والخطب القصيرة محاولة بذلك إقناع المستمع بكل الطرق.
- أما الخطابة في صدر الإسلام فقد ابتدأت بظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم) خطيبا غير شاعر، بشيرا ونذيرا، موضحا للمسلمين بشرائع دينهم، ثم ورثه من بعده خلفائه الراشدون، فكانوا خطباء مصاقع، يخطبون في الجمع والأعياد وفي المواقف الهامة.
- ثم يأتي عصر الخطابة في الدولة الأموية، بعد أحداث وفتن طرأت على العالم الإسلامي آنذاك، باستشهاد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه، واستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما، ثم خروج عبد الله بن الزبير على يد

[1] مرجع سابق، محمد أبو زهرة، الخطابة، أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص 09.

[2] إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب (بحوث في إعداد الخطب الداعية)، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2006، ص 17.

زبير بن معاوية، وظهور التشيع آخر خلافة عثمان وغيرها[1]. حيث كان هذا العصر من أزهى العصور، فوفرت فيه دواع كثيرة.

- أما في العصر العباسي فقد تميز بقوة الخطابة، وفاقت على صدر الدولة الأموية، وذلك على ما يلي:
- الدولة قامت بعد الفتن ولثروات، فكانت الحاجة الماسة إلى الخطب الرافعة، يدافع الخلفاء بها عن أنفسهم ويدعون الناس إلى البقاء على تأييدهم.
- الخلفاء في صدر الدولة كانوا من بني هاشم ومن بني العباس وهم الذين استشهروا بالفصاحة وبالمواهب الخطابية[2].
- وتعرج أيضا الآن إلى الخطابة العربية على مر العصور، فعندما نبحث عن الأدب العربي القديم يقع بصرنا إلى أن العرب اهتموا بالشعر أكثر من النثر، من حيث روايته وتوثيقه ونقده وتحليله، مع أن النثر مادة جديرة بدراسة معمقة لأنه يمثل حياة العربي فهو الوجه المشرق في كل العصور يعكس جوانب كثيرة، حيث يبين أصالة العربي التي تتمثل في مكارم الأخلاق والعفة وحسن الجوار وغيرها من الخصال التي تميز بها الإنسان العربي، حيث عرف العرب الخطابة منذ الجاهلية، لم يصلنا منها إلا القليل كالأحكام والأمثال والوصايا. حيث حرضت الخطابة على إظهار النبل والأخلاق الحميدة والسير الشريفة وتوجيه الأمة إلى الكمال، والحياة الأفضل.

[1] علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 66.

[2] إحسان النص، الخطابة في عصرها الذهبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، د.ت، ص 29.

ثالثا: أنواع الخطابة.

هناك أنواع عديدة للخطابة تختلف باختلاف موضوعاتها التي توضع من أجلها وهذه الأنواع كثيرة تضم الدينية والسياسية والقضائية وخطابة الفتوح والعلمية والاجتماعية والمناسبات.

1. **خطابة الفتوح:** أو الخطبة العسكرية: وهي من النوع العسكري الحربي فكانت مظهرا من ماهر الحماسة وإشادة، وهدفها اشمال نار الحماسة في الجند وإثارة حمايتهم ونخوتهم للدفاع عن أوطانهم، وخير شاهد على ذلك خطبة طارق بن زياد على ساحل الأندلس والتي يستحسن فيها أمران: استنهاض همة الجندي بأن معظم شأن وطنه وايغاض العدو والحقد عليه ببيان جوره وطمعه[1]. وهذا النوع من الخطب يركز على الحكماء والعسكريين لتحفيز الجيش، وإدخال فيه روح الإثارة بعبارات محفزة.
2. **الخطابة العلمية:** هي خطبة أكاديمية، يندرج فيها كلام علمي صناعة وبحثا، ولها تركيب بسيط يقرب منال الحقائق العلمية من الأذهان[2].فتشمل المحاضرات التي يلقيها أساتذة الجامعات، وتضم خطب الاستقبال والترحيب للذين يقرر إدخالهم المجامع العلمية والأدبية، أو الذين يمنحون الجوائز.
3. **خطب الاستخلاف والولاية:** وهي تكون عند مبايعة خليفة أو توليه والي أو عامل، وهدفها تخطيط سياسة أو تسكين فتنة، أو ما إلى ذلك، ومن أشهرها خطبة معاوية عندما وقف بالمدينة عام الجماعة أي السنة الحادية والأربعين للهجرة وأعلن سياسته.

[1] علي محفوظ، فن الخطابة، وإعداد الخطيب، ص 85.

[2] المرجع نفسه، ص 70.

4. **الخطبة الدينية:** هي الخطبة الوعظية أو العظة الدينية، وهي تعتمد على تعاليم الدين، أو تلقي لغرض من الأغراض وغالب إما يلقيها الخطيب في أماكن العيادة كالمساجد، ويذكر أحمد محمد شاكر أن الخطبة عند المسلمين سواء كانت للجمعة أو للعيدين أو غير ذلك فهي تعليم وتبليغ وإرشاد وتنظيم لشؤون المسلمين من عبادة، ومن خلق كتعليم الأفراد أو التحريض على الجهاد[1]. فالخطيب الديني تتميز خطبته بألفاظ عذبة، تكون صلتها بالقرآن أو النبوة والأحاديث الشريفة بأسلوب واضح باعتمادهم على النصح والإرشاد.
5. **الخطابة السياسية:** هي تلك الخطب التي يلقيها القائد أو الحاكم على مخاطبيه سواء في حال السلم أو الحرب، وذلك بغرض تثبيت قلوبهم وزيادة حماسهم، ورفع معنوياتهم القتالية، ولهذا النوع من الخطب أثر كبير على المخاطبين، فقد شكل على مر التاريخ ذخيرة الحكام وزادهم يمدون به الرعية[2]. الخطيب السياسي تمثل بخطبه الحنفية، فتكون في الحالتين السلم أو الحرب بغرض التثبيت وبث روح الحماس في المستمع في إدراجه الحجج والأدلة والوعود أحيانا
إن رأوا فيهم أعياد، فيجعلوا من ضعفهم قوة، ومن تقهقرهم تقدما وانتصارا[3]. ومن أشهر الخطب: الفتنة يوم الجمل، خطب التحكيم بين علي ومعاوية
6. **الخطابة القضائية:** هي التي تلقي في قاعات المحاكم أمام هيئات القضاء طلبا للحكم في أمرها، ازدهرت كسائر الخطب في اليونان، حيث كان الخطباء يدافعون عن مالهم وشرفهم وأرزاقهم أمام القضاء، وقد ازدهرت الخطبة القضائية عند العرب في العصر الحديث مع ازدهار مهنة المحاماة في ظل الديمقراطية والعدالة وسيادة

[1] فاروق سعد، فن الإلقاء العربي الخطابي والقضائي التمثيلي، شركة الحلبي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص 55.

[2] كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، ص 162.

[3] محمد أبو زهرة، الخطابة، أصولها، وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب، ص 56.

القانون في الأمكنة القليلة والأزمنة القصيرة التي توفر وجودها فيها[1]. تتميز الخطب القضائية بعدم طولها، فتكون في المحاكم أو المجالس بين طرفين يكون الخطيب يدافع عن حقه بطريقة مناسبة، يتمتع بالحجج والبراهين، وقد كثرت مثل هذه الخطب في عصرنا الحاضر.

7. **الخطابة الاستدلالية:** التي تعتمد على الجدل والاحتجاج، وقد يسمى هذا النوع من الخطب بأدب الجدل والمجادلة كما سماها قدامة بن جعفر حين جعل المجادل، قصده الحق وبغية الصواب، وصحة التميز، وحسن البديهة، والمعاتبة والمحاسبة عن موقف معين[2].
8. **الخطابة المحفلية:** هي التي تكون في حفلات التكريم أو الخطب التي تكون أيام الأفراح أو التأبين[3]. مثلا تكون في الجامعة حفل اختتام والمدير يلقي كلمة خطابية يكون مضمونها الترحيب والشكر عن نجاح الموسم الدراسي.

رابعا: خصائص الخطابة.

تتميز الخطابة بألفاظ سهلة جزلة، بعيدة عن التعقيد اللفظي والمعنوي، حيث أن الخطابة لها سمات وخصائص تميزها عن باقي الأنواع النثرية فإذا ما تحققت هذه المميزات عدة الخطبة الناجحة ومن أبرزها:

- أن تكون مشافهة الجمهور[4]. يجب أن يكون الخطيب متميز بالقوة، أي تكون المخاطبة لمجموعة من الناس، وأن يكون الحضور جمع غفير من الناس مثل: الجمعة، خطب المحافل وغيرها،

[1] فاروق سعد، فن الإلقاء العربي، ص 58.

[2] ليلى محمد ناظم الحيالي، جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2003، ص 19.

[3] فاروق سعد، فن الإلقاء، ص 58.

[4] مرجع سابق، ينظر في الإلقاء العربي، ص 46.

- أن يتوفر في الخطبة عنصر الاستمالة، المراد به أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئها، ويقبض على زمام عواطفهم يتصرف بها كيفما يشاء، سارا أو محزنا، مضحكا أو مبكيا، داعيا إلى الثورة أو إلى السكينة[1]. عنصر الاستمالة أهم شيء في الخطيب، فهو أداة الخطيب للإقناع والتحكم في عواطفه.
- أن يلقي الحديث بطريقة إلقائية، فجهارة الصوت واختلاف نبراته تعطي للخطبة تناغما موسيقيا يستهوي السامعين ويثير مشاعرهم كما يستوجب أن تصحبه إشارات باليد مع إبداء الخطيب تفاعله بما يقوله[2]. أول خاصية يجيب أن ينفرد بها الخطيب، وأن يكون صوته جهورا ويتميز بالقدرة والقوة على إقناع المستمع، بوسائل عدة أن يستخدم الإشارات باليد بتفاعل متناغم، وأيضا حسن المظهر والشكل الخارجي يلعب دورا مهما كي يستطيع اكتساب الاحترام اللازم.
- أن يكون الحديث مقنعا بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعوا إليها الحديث، وتؤخذ هذه الأدلة من التأمل في الموضوع وإمعان النظر في أحواله ليسهل استنباطها[3].

خامسا: الخطابة في الجزائر قديما.

عرفت الجزائر منذ القدم رغم العوائق السياسية والعسكرية والاجتماعية حركة أدبية نشيطة تجلت في الكم الهائل للنصوص الأدبية من نثر وشعر تركه أدباء الجزائر منه ما هو معروف اليوم عند القراء، ومنه ما أشير إليه في الكتب ولكنه لا يزال مجهولا ومشتت بين الكتب، حيث تعددت فنون النثر عند الأدباء في هذه الفترة وعرفت تنوعا كبيرا، فقد ألفوا في مختلف الفنون من رسائل وخطب ووصايا وفنون قصصية[4].

[1] مرجع سابق، أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص 05.

[2] مرجع سابق، ينظر فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 44.

[3] ينظر: مرجع سابق، فن الإلقاء العربي، ص 46.

[4] ينظر: فنون النثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني، ص95

الخطابة فن لاقى صيت كبير في القديم، حيث وجد لها مكانة كبيرة عند أدباء الجزائر، وكانت معظم مجالاتها منحصرة في المجال الديني، بسبب ما لقيته اللغة العربية من منافسة اللغة التركية لها في المجالات الأخرى، وقد تكلمت الكتب عن طائفة من الكتاب ألفوا في هذا الفن منهم سعيد قدورة وأحمد المقري وعبد الكريم الفكون، إلا أن خطبهم لا تزال في حكم مفقود[1].الكتاب الجزائريين انحصروا في قوقعة الدين دون الولوج إلى أجناس أخرى تنوع لهم فنهم، وأيضا معظم خطبهم باءت للمجهول لم توثق وأخرى مفقودة.

لقد عرف الأدباء الجزائريين ها الفن منذ الفتح الأول لبلادهم في العهد القديم، " وليس أدل على ذلك من خطبة طارق بن زياد في جنده حين أراد فتح الأندلس "[2]

فكان حال الخطبة الجزائرية في ذاك الوقت في طريق الشروق، فالأدباء الجزائريين تنوعوا في الفن الخطابي إلى أن دخل الحكم التركي البلاد. " وكان حال الخطبة في الجزائر بعد ذلك مشرقا إلى أن تولى الأتراك حكم البلاد، فانحصر هذا الفن، وأصبح يقتصر على بعض المجالات الدينية والاجتماعية، وتواصلت حالها إلى أن حل المستعمر الفرنسي البلاد. "[3]فدخول المستعمر إلى الجزائر ليس لصالح الأدباء لأن حكام ذلك الوقت أعاجم لا يفقهون من اللغة العربية شيء، لذا أرادوا هدم الشخصية العربية ومنع كل مجالس اللغة العربية.

كانت هذه الفترة لا تسمح للحكام بمخاطبة الناس أي لم يكن بين الحكام والرعية تواصل، فالباشوات والدايات لم يكن لهم خطب أو وجود أي معلومة عن خطب الحكام للرعية.

[1] ينظر: فن الإلقاء العربي، ص 46.

[2] ينظر: فنون النثر الأدبي في الجزائري على العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، لخضر سعيد بالعربي، 2018/2017، ص 28.

[3] عيسى ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث (موضوعاتها وخصائصها)، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، إشراف أ.د عبد القادر دامخي، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 98.

كما جاء في الكتب أن الجزائر في الفترة العثمانية عرفت مجموعة من الخطباء وكانوا من العلماء والمفتين في الغالب إلا أن آثارهم مازالت مفقودة إلى اليوم[1]. بهذا يكون فن الخطاب قديما لاقى رواجا من قبل الخطباء الجزائريين، إلا أن خطبهم تناثرت في بطون الكتب ولم يبقى منها إلا.

[1] ينظر: فنون النثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني، ص 28.

الفصل الثاني: الخطبة في النثر الجزائري القديم " نماذج "

- تحليل خطبة أحمد بن منصور
- تحليل خطبة أسماء صور القرآن
- تحليل خطابة عبد الرحمان التنلاني

الفصل الثاني: الخطبة في النثر الجزائري القديم " نماذج ".

- **تحليل خطبة أحمد بن منصور:**

تمهيد:

وقبل الشروع في تحليل نموذج خطبته أردنا أن نشير إلى نقطة ألا وهي أننا بحثنا عن معلومات شخصية وأمور متعلقة بهذا الخطيب لكننا لم نجد سوى اسمه فقط، فلم تذكر عنه أي معلومات أخرى فقد قيل أنه أحرقت مكتبة المعصومة التابعة للدولة الرستمية.

وقد تعرض ابن الصغير لشيء قليل عنه حيث قال: "وحضرت لخطبائهم خطبا كثيرة، أولهم ابن أبي إدريس والثاني أحمد التيه...والخامس أحمد بن منصور وكل من رأيت من خطبائهم على المنابر"[1]

1- نص الخطبة:

[الحمد لله] الذي ابتدأ الخلق بنعمائه، وتغمدهم جميعا بحسن آلائه، فوفق كل امرئ منهم في صبائه، إلى ما يحتاج الله من غذائه، وسخر له من يكلأه إلى وقت استغنائه، ثم احتج على من بلغ منهم بآلائه، وأنذرهم بأنبيائه، الذي لم يزل بصفاته وأسمائه ولا يشتمل

[1] سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط3، القسم 2، 2002، ص 380.

عليه زمان، ولا يحيط به مكان، خلق الأماكن والأزمان، ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ (فصلت: 11)،

فقدرها أحسن تقدير، واخترعها من غير نظير، لم يرفعها بعمد تدرك بالمعاينة، ولم يستعن عليها بأحد استكبارا عن الشركة والمعاونة، وزينها للناظرين، وجعل فيها رجوما للشياطين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلفين، وأن تحكم في دينه أهواء المقلدين، بل جعل القرآن إماما للمتقين، وهدى للمؤمنين، وملجأ للمتنازعين، وحكما بين المتخالفين، ودعا أولياءه المؤمنين إلى إتباع تنزيله، وأمرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، بذلك نطق محكم كتابه إذ يقول جل ثناؤه﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾(سورة النساء: 59)

وتعبد نبيه صلى الله عليه وسلم عند رجوع الأمة في تأويل ما أشكل عليها إليه، بأن يبين لهم معنى ما أنزل عليه فقال ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾[1] ولم يكلهم دائما إلى القول في دينه بآرائهم، ولا أذن لهم في مسامحة أهوائهم، فتكون الأحكام مبتدعة والآراء مخترعة، والأحكام متبعة، بل أحصى كل شيء عددا، وضرب لكل شيء أمدا، ﴿ ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حيي عن بينة ﴾ (الأنفال: 42)،

[1] سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص 381.

أحمده حمدا يبلغ رضاءه، ويحتسب آلاءه، وأستعينه على ما استحفظنا من شرائعه، ونؤمن به إيمان من أخلص عبادته، واستشعر طاعته، ونتوكل عليه توكل من انقطع إليه ثقة به، ونرغب فيما لديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد مقر له بالعظمة والتمجيد، خائف من إنجاز ما قدم له من الوعيد.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاه لنفسه وليا، وارتضاه لخلقه نبيا، فوجده على حفظ ما ضمنه قويا، وبأداء ما استودعه مليا، والدعاء إلى ربه حفيا، ومتوقفا عند ورود المشكلات، ومشمرا عن انجلاء الشبهات، لا يرعوي لمن عذله، ولا يلوي على من خذله، ولا يطيع غير من أرسله، يصدع بالأمر، ويطفئ نار الكفر، لم تأخذه في الله لومة لائم، ولم ينحرف عنه لزعم زاعم، أرسله على حين فترة من الرسل، ودروس من السبل، وتضامن من أهل الملل.

والناس فريقان عالم مستكبر، وجاهل مستظهر، فالعالم الذي قد سبق له الخذلان ينزغه الشيطان، ويجمح به الطغيان، فيستنكف عن الدخول في[1] الإيمان، والجاهل متسكع في غيه متحير في أمره، منتظر ما يكون من غيره، فلم يزالا يعكفان على الأزلام، ويعتصمان بالأصناف، والرسول عليه السلام يرعاهم رعي السوام، ويدعوهم إلى دار السلام، فلم يزل عليه الصلاة والسلام يعظهم بالآيات، ويقرعهم بالمعجزات، حتى استقام من أحب الله توفيقه من سائر أهل الديانات، فبلغ المحكمات، وأوضح المشكلات، وزجر

[1] سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص 382.

عن القول في الدين بالشهوات، فختم الله به النبيين وأكمل به الدين وأوجب به الحجة على العالمين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وإخوانه المرسلين وأوليائه من المؤمنين.[2]

2- المعنى العام لنص الخطبة:

يتضح لنا من خلال الخطبة أن "أحمد بن منصور" سيد البلغاء ومورد الفصاحة التي أظهر مكنوناتها في ثنايا الخطبة، أضفى عليها مسحة من الدين الإسلامي وعبقا من النبوة (محمد صلى الله عليه وسلم) فاستهلها بالحمد والثناء، وجاءت كلماته في غاية الإحكام بعيدا عن التصنع والتكلف، فتكاد تكون هذه الخطبة من نسج الحقيقة، وتحدث في بدايتها عن صفات الله سبحانه وتعالى وعن ربوبيته ووجوب عبادته وإعجازه في الخلق، ثم انتقل إلى وصف أن كتاب الله عز وجل خير وسيلة للخروج من براثين الجاهلية وإتباع حذافر العقيدة الإسلامية باللجوء إلى أحكام تحل الخلافات والنزاعات، ويجب على المسلمين إتباع كتاب الله وسنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسيلم.

فقد جاءت رسالة (محمد صلى الله عليه وسلم) لتدعو الناس إلى التوحيد وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين، ويجب أن لا يخالف المؤمنون رسالته ولا يعرضوا عما جاء به ويتبعوا سبيله ويؤمنوا بالله وحده لا شريك له ولا يبتعدوا عن الاستقامة والصلاح كي لا يقعوا في حفرة الغفلة والانحراف التي تقودهم إلى نار جهنم خالدين فيها.

[1]سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المرجع السابق، ص 383.

ذكر أحمد بن منصور في نص الخطبة أن هناك فريقان وفصل في صفاتهما فوصف العالم بالشخص المقتدي المؤمن برسالة الأنبياء وهم أصحاب العاقبة الحسنة، أما الجاهل فهم الذي يعبد الأصنام ويقع فريسة للأوهام والشكوك التي تحجب عنه الرؤية الصحيحة، وسيعاقبه الله بأن يلبسه ثوب المذلة والحقارة، فأصر على التمسك بالدين الإسلامي مذكرا بنعمة القرآن الكريم على المؤمنين وإن (محمد صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين بعثه الله لتصحيح العقيدة وغرس بذور الإيمان بالله ربا واحدا، ومن خلال هذا يظهر في نبرة كلماته الصدق الذي هدفه الرئيسي هنا إثارة عواطف السامعين.

3- الأسلوب واللغة:

جاء أسلوب أحمد بن منصور واضحا متأثرا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لأن فهم المعاني أساس الإقناع والاستمالة، وقد تجنب التكلف في انتقاء الألفاظ الذي من شأنه أن يضفي الغموض على موضوعه، وطغى على خطبته الأسلوب الوعظي الإرشادي لأنه بصدد وعظ وإرشاد المؤمنين لإتباع كتاب الله وسنة نبيه، ووظف تقنية التقابل في أروع أشكالها ويظهر ذلك من خلال قوله "والناس فريقان عالم مستكبر، وجاهل مستظهر"[1]

[1] سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص 382.

كما توفرت خطبته على أسلوب التوكيد خاصة من حيث التكرار ومثال ذلك قوله: "أحمده حمدا يبلغ رضاه ويحسن ألاه، وأستعينه على ما استحفظنا من ودائعه".[1] فكرر كلمة الحمد (أحمده حمدا) لتأكيد حمده للخالق.

أما من حيث الصور البيانية فالخطبة تكاد تخلو منها لأن موقف الخطيب هنا هو الداعي المؤمن بالله ووحدانيته الذي استمد حججه من القرآن الكريم، أما السجع فالخطبة تعج به في جميع أرجائها ومثال ذلك: وزينها للناظرين، وجعل فيها رجوما للشياطين، فتبارك الله أحسن الخالقين.[2] وغيرها من الأمثلة.

وأما لغة الخطيب فاتسمت بالسهولة والألفاظ بسيطة بعيدة عن التعقيد.

4- فضاء الزمن:

نلحظ أن الخطيب أحمد بن منصور بنى خطبته بمزيج من الزمن الماضي والحاضر فهو يحاول إقناع المتلقي في ظل عصف الشبهات والجهل ويخاطبهم وفق مبادئ محكمة بالإضافة إلى ذكر بعض من آيات القرآن الكريم؛ بالنسبة للزمن الماضي يظهر في قوله: "بل جعل القرآن إماما للمتقين، وهدى للمؤمنين..."[3]

[1] سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص 382.

[2] المرجع نفسه، ص 381.

[3] المرجع نفسه، ص 381.

وكذلك في قوله: "دعا أولياءه المؤمنين إلى إتباع تنزيله، وأمرهم عند التنازع في تأويله".[1]

والزمن الحاضر يظهر جليا في قوله: "لم يزل بصفاته وأسمائه ولا يشتمل عليه زمان، ولا يحيط به مكان".

وفي قوله أيضا: "لم يرفعها بعمد تدرك بالمعاينة".[2]

ونستطيع القول إن الزمن الماضي هو الطاغي على سطور الخطبة لأنه يكشف الجانب المظلم الذي كانت تعيشه البشرية من قبل مجيء الرسالة المحمدية.

5- الترتيب الزمني:

نجد أنفسنا في هذه الخطبة أمام عِقدٍ رُصَّت حباته بطريقة متسلسلة خارقة للعادة ومحكمة الإنجاز استمال بها العقول، أي أنها جاءت متسلسلة تسلسلا منطقيا؛ لأنه بصدد الدعوة إلى العقيدة الإسلامية ونبذ الشرك والكفر، فهو ملزم في خطبته بشرح المبادئ والأسس التي تقوم عليها رسالة التوحيد فانتقل من الماضي إلى الحاضر بطريقة فنية تارة يحصي صفات الله وعظمته ثم يذكر برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم).

[1] سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص 381.

[2] المرجع نفسه، ص 381.

6- الديمومة:

والتي تتحدد من خلالها العلاقة بين الخطاب والزمن ومدة استغراقه، إذ يمكن تتبع دلالتها من خلال العناصر الموالية:

أ- الحذف:

اكتفى الخطيب بتحديد العبارات الزمنية الدالة على أحداث الخطبة ولم يخرج عن إطار كون الحذف وسيلة للتسريع والقفز بالأحداث، فانتقل من وصف عظمة الله في خلقه وحسن تدبيره ثم إلى رفع الإيمان وتقوية النفوس والتزود بالتقوى فهي الكفيلة بشحذ الهمم وكبت النفس الأمارة بالسوء التي ينزغ لها الشيطان لكن دون البسط والتفصيل بعمق للأحداث.

ب- الخلاصة:

عمد الخطيب إلى تقديم الأحداث والشخصيات بصورة موجزة واختزلها بدقة عالية، فينطلق بذكر التوحيد وآيات من القرآن الكريم ويقصي الوثنية من عقول السامعين محاولا بكل الطرق توعية الضمائر وتنبيهها، فنلاحظ في هذه الخطبة حرصه على إيصال الأفكار إلى قلوب وعقول السامعين.

الوقفة الوصفية:

حاول الخطيب أحمد بن منصور الإبطاء المفرط للوقائع فتوقف عند وصف إعجاز الخالق، ويظهر ذلك من خلال قوله: قال تعالى:﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾(سورة فصلت: الآية 11).

وفي قول أحمد بن منصور أيضا: "وزينها للناظرين، وجعل فيها رجوما للشياطين، فتبارك الله أحسن الخالقين"[1](مقتبس من سورة الملك).

كأنه يقف ليشخص المعاني ويختار منها ما تهمس له الأسماع وتستسلم له الأفئدة.

المكان:

يضفي المكان نزعة جمالية على وقائع الخطبة فيمنحها الوضوح والسهولة ليزيل عنها رداء الغموض، ومن الأماكن التي حفلت بها الخطبة نذكر ما يلي:

المكان	الشواهد من الخطبة
السماء	"ثم استوى إلى السماء وهي دخان"
الأرض	"...قال لها وللأرض ايتيا طوعا أو كرها"

لم يركز أحمد بن منصور على عنصر المكان ولكن وظفه بصفة ذكية تتلاءم مع قالب الخطبة، لأن همه الوحيد كان وصف حال الأمة الإسلامية وصراعها بين الحق

[1]سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص 381.

والباطل والجهل والعلم، أما السماء فأراد أن يظهر بها القدرة الإلهية والإعجاز في تسيير الخلق والكون.

وبالنسبة للأرض فهي الانتماء والهوية المنبتوالملاذ الذي يأوي إليه الناس، وتشير أيضا إلى عظمة الخالق؛ أي أن السماء والأرض جزء مما خلقه الله ووضع فيها فلا يمكن لكلاهما أن يخرجا عن طوعه أو أي مخلوق خلقه أن يخالف أوامره.

الشخصيات:

لقد وظف الخطيب في خطبته مجموعة من الشخصيات استقاها من العقيدة الإسلامية لحرصه الشديد على الدعوة إلى التوحيد وتتمثل هذه الشخصيات في (الله، الشياطين، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، العالم، الجاهل، المؤمنين).

الله يرمز إلى العظمة والملكوت لا يعجزه أي مخلوق أو شيء في الأرض ولا في السماء، والشيطان يشير إلى الروح الشريرة والمتمردة التي توسوس للإنسان التمرد على دينه وتزيغه عن الحق، وبالنسبة لمحمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فهو يرمز إلى راية الحق والجهاد في سبيل الله ومفتاح لفك قيود الضلالة، وفيما يخص العالم فيرمز إلى الخشية؛ فالعالم من يخشى الله تعالى ويدرك طريق العبادة، أما الجاهل هو نقيض العالم ويرمز إلى الظلام والضياع في غياهب الشرك والأباطيل، والمؤمنين يرمزون إلى الصراط المستقيم والانتصار على الباطل.

- **خطبة أسماء سور القرآن.**

الخطابة فن إيصال خبر أو فكرة ما لمجموعة من السامعين على نحو مقنع ومؤثر وهكذا نجد الإقناع والتأثير هما غاية الخطابة ومحورها الرئيسي، كما أنها تمتلك غاية ذات شأن كبير وهي إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم موجهة إلى عقل السامع لتبثه الحقيقة وتستمليه بها، وعلى الخطيب أن يكون مُلِمًّا بصنوف المعارف ومن هؤلاء الخطباء الشيخ **سعيد المقري التلمساني**[1] في خطبته التي جاءت تحت عنوان "**أسماء سور القرآن**"يقول فيها: " الحمد لله الذي افتتح فاتحة الكتاب بسورة البقرة ليصطفي آل عمران رجالا ونساء وفضلهم تفضيلا، ومد مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة وجعل يونس في بطن الحوت سبيلا–ونجى هودا من كربه وحزنه كما خلص يوسف من جبه وسجنه وسبح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ إبراهيم خليلا، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شرابا نوع اختلاف ألوانه وأوحى ّإليه بخفي لطفه سبحانه واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه أرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلا، وفضل طه على جميع الأنبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون حيث دعا إلى الإسلام: قد أفلح المؤمنون إذ جعل نور الفرقان دليلا، وصدق محمد صلى الله عليه وسلم الذي عجزت الشعراء في صدق نعمته وشهد النمل بصدق بعثه وبين قصص الأنبياء في مدة مكثه ونسج العنكبوت عليه في الغار سترا مسدولا.

[1] **هو أبو الحسن سعيد بن أحمد المقري التلمساني** منشأ ودارا عم الشيخ **أبي العباس أحمد المقري** المشهور ولد عام 928 هـ (1522م) تولى خطة الإفتاء بتلمسان مدة ستين كما تولى الخطابة بالجامع الأعظم مدة خمس وأربعين سنة ولا نعرف تاريخ وفاته وإنما كان على قيد الحياة عام 1001 هـ (1593) إن الشيخ سعيد المقري كان علاوة على العلوم الشرعية التي كان له الباع الطويل فيها فإنه كان حافظا للعربية والشعر والأمثال كما كان عذب الكلام فصيح القلم ممتع المحضر. (ينظر محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، ص 154.

وملئت قلوب الروم رعبا من هيبته وتعلم لقمان الحكمة من حكمته وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته وهزم الأحزاب وسباهم وأخذهم أخذا وبيلا، فلقيهم فاطر السماوات والأرض بياسين كما نفذ حكمه في الصافات وبين صدقه بإظهار المعجزات وفرق زمر المشركين وصبر على أقوالهم وهجرهم هجرا جميلا، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن امرهم شورى بينهم وزخرف منار الإسلام وخفي دخان الشرك وخرت المشركون جاثية كما أنذر أهل الاحقاف فلا يهتدون سبيلا، وأذاق الذين كفروا شدة القتال وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز وحجر الحجرات العزيز وبقاف القدرة قتل الخراصين تقتيلا.

كلم الله موسى على جبل الطور فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادئ السرور واقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور فتعجب الحديد من قدرته وكثرت المجادلة في أمته إلى أن أعيد في الحشر بأحسن مقيلا، امتحنه في صف الأنبياء وصلى بهم إماما في تلك الجمعة ملئت قلوب النافقين من التغابن خسرا وإرغاما فطلق وحرم تبارك الذي أعطاه الملك وعلم بالقلم ورتل القرآن ترتيلا وعن علم الحاقة كم سال فسال الإيمان ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان وأتت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن فأنزل عليه يا أيها المزمل قم الليل قليلا فكم من مدثر يوم القيام شفقة على الإنسان إذ أرسل مرسلات الدمع فعم يتساءلون أهل الكتاب وما تقبل من نازعات المشركين إذ عبس عليهم مالك وتولاهم بالعذاب وكورت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كثيبا مهيلا، فويل للمطففين إذا انشقت السماء بالغمام وطوت ذات البروج وطرق طارق الصور للقيام وعز اسم ربك الأعلى الغاشية الفجر فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويل، فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم إذ عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة فسجدوا باقرا باسم ربك الذي خلق هذا النعيم الأكبر لأهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر وتبتلوا تبتيلا، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا

حميم وتسوقهم كالعاديات على سواء الجحيم وزلزلت بهم قارعة العقاب وقيل لهم ألهاكم التكاثر هذا عنصر العقاب الأليم وحشر الهمزة وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتيلا.

وقال قريش ما أنتم من هول الحشر أرأيت الذي يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر وسيق الكافرون إلى النار وجاء نصر الله والفتح وتبت يدا أبي لهب إذ لا يجد سورة الإخلاص سبيلا، فتعوذ برب الفلق من شر ما خلق وتعوذ برب الناس ملك الناس من شر الوسواس الخناس الذي فسق، ونتوب إليه ونوكل عليه وكفى بالله وكيلا"[1]

يظهر على الإمام سعيد المقري التلمساني أنه متأثر بالجانب الديني من حيث الشكل والمضمون، فقد اعتمد في خطبته على ألفاظ القرآن الكريم وأورد فيها جل أسماء الأنبياء والرسل ومعجزاتهم التي سخرها الله لهم كل على حدة مستشهدا بالآيات القرآنية لما تمتلكه من قدرة مؤثرة في استمالة النفس البشرية وانفعالها من خلال البراعة في الإعجاز وذلك لإيقاظ همم الناس وبعث كوامن نفوسهم ووجدانهم للإقبال على التوبة وجعلها تذكرة لقوم يتفكرون، وخير دليل على ذلك نص هذا الخطيب الذي استطاع به أن يلامس الأسماع ويداعبها بأسلوب أدبي بارع ربما يعجز عنه الكثير من الخطباء وأظهر لنا دقة بيان القرآن الكريم بأسلوب جمالي يبهر الحواس يضفي عليه قيمة إضافية تجعله أكثر تأثيرا في المتلقي.

وكل هذا يجعلنا نستنتج أنه اجتمعت في الشيخ المقري التلمساني كل صفات الخطيب البارع.

[1] الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، المرجع السابق، ص 154.

1-فضاء الزمن:

الزمن هو تلك المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة وحيز كل فعل وكل حركة، بل إنها لبعض لا يتجزأ من كل الموجودات وكل وجوده حركتها ومظاهرها وسلوكها[1].

وهنا نجد أن الزمن الخطابي في متن الخطبة قد روي في الزمن الماضي من خلال تعداد وذكر سور القرآن الكريم ويظهر في قوله: "ومد مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة"[2]

أيضا في قوله: "ونجى هودا من كربه وحزنه كما خلص يوسف من جبه وسجنه".[3]

وغير ذلك من الأمثلة التي تعج بها هذه الخطبة.

2-الترتيب الزمني:

يرتبط الترتيب الزمني بفكرة الوقت من أجل تحديد الحقائق وفهمها بشكل أفضل، وهذه الخطبة التي بين أيدينا خرج فيها الخطيب عن التسلسل الزمني فقد استقرت الخطبة على زمن واحد ألا وهو الزمن الماضي لأن الخطيب بصدد تذكير النفوس البشرية بمعجزات الخالق واستمالتها لاتخاذ الأنبياء والرسل قدوة لهم في حياتهم، فاستطاع الخطيب أن يتلاعب بالزمن ويصهر المسافات وسارت الأحداث وفق خط زمني واحد وبشكل سريع مثير لإحساس القارئ.

[1] عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ط، 1985، ص 07

[2] الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، المرجع السابق، ص 154.

[3] المرجع نفسه، ص 154.

3-الديمومة:

تهتم الديمومة بالعلاقة المستغرقة في قراءة النص بالقياس إلى الزمن الذي تستغرقه الأحداث ونظرا لصعوبة أو استحالة تحديد مقياس ثابت للديمومة لأنها ترتبط بعنصر متغير بصورة دائمة وهو قراءة قارئ معين ويتم ضبط إيقاع الديمومة من خلال أربعة عناصر وهي:

أ-الحذف:

تقوم فكرة الحذف على تخطي فترة زمنية سواء كانت طويلة أم قصيرة دون ذكر ما يجري فيها من أحداث، وهي وسيلة تلعب إلى جانب الخلاصة دورا حاسما في تسريع الأحداث، فهذه الخطبة تحمل في طياتها إضمار جزئي والذي يتضح من خلال قفز الخطيب بالأحداث إلى الأمام دون أي إشارة؛ فانتقل من سورة البقرة إلى سورة آل عمران، ثم من الأنعام إلى الأنفال وصولا إلى سورة الفلق في آخر الخطبة، وبذلك جاء الحذف سريعا جدا فلم يذكر أسماء السور بالتفصيل وبالترتيب الذي كانت عليه في كتاب الله المقدس.

ب-الخلاصة:

كثيرا ما تعتمد الخلاصة إلى استعراض أحداث مكثفة في فترة زمنية قصيرة فالخلاصة تقوم بتخليص أحداث واقعة في عدة أيام أو شهور أو سنوات في مقاطع محدودة لأن صفحات قليلة دون أن يخوض ذكر تفاصل الأشياء والأقوال[841].

وتظهر من خلال سور القرآن الكريم بصفة خاصة فينطق الخطيب من شخصية إلى أخرى دون الولوج إلى التفاصيل في سهولة ويسر في رؤية فنية نستخلص من تمكن وقدرة الخطيب البلاغية وامتلاكه لأساسيات الفصاحة اللغوية.

[1] عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، مطبعة الأميرية، دمشق، ط1، 1999، ص 139، بتصرف.

-الوقفة الوصفية:

تقوم الوقفة الوصفية على تعطيل زمنية السرد وتعليق مجرى القصة لفترة قد تطول أو تقتصر، فالوقفة تعني " التوقف الحاصل من جراء مرور في سرد الأحداث إلى الوصف أي الذي ينتج فيه مقطع من النص القصصي تطابقه ديمومة صفر على نطاق الحكاية[1].

هي مقاطع الوصف القصيرة والطويلة التي تستغرق عددا من الصفحات أو تأتي في مقطع واحد يقوم فيها الخطيب بتعليق السرد فيقف لوهلة ليبرز فيها التأملات والخواطر ويتجلى ذلك في قوله: "**كلم الله موسى على جبل الطور فارتقى نجم (محمد صلى الله عليه وسلم) فاقتربت بطاعته مبادئ السرور واقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور**".

ومن النماذج الوصفية أيضا قوله: "**وكورت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كثيبا مهيلا**".[2]

وبذلك يتضح أن الوقفة الوصفية تعمق الإحساس وتوجه الرؤية وتصقلها رمزيا وفنيا.

-المكان:

ومن الأمكنة التي تطرقت إليها الخطبة نذكر ما يلي:

المكان	النموذج من الخطبة
الجب	كما خلص يوسف من جبه وسجنه
الكهف	واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه

[1] حميد حمداني، النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة، الدار البيضاء بيروت، ط3، 2000، ص90.

[2] الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، المرجع السابق، ص 154.

الغار	ونسج العنكبوت عليه في الغار سترا مسدولا
السماوات والأرض	فلقيهم فاطر السماوات والأرض
الجبل	كلم الله موسى على جبل الطور فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم
الشمس	وكورت الشمس/ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويل
الجنة	وأشجارا الجنة فسجدوا...

كل هذه الأمكنة المذكورة لها دلالات متنوعة في هذه الخطبة وتوحي إلى قدرة الله العظيمة في خلق هذا الكون، فكان خير دليل على هذا الإنجاز استدلاله بنجاة سيدنا يوسف عليه السلام من غيابات الجب الذي ألقاه فيه إخوته، وهذا يشير إلى أن الله كان حافظا وراعيا لنبيه عندما أنقذه من مخالب إخوته الذين سولت لهم أنفسهم الفتك بأخيهم، أما دلالة الكهف الذي آوى إليه الفتية فرارا بدينهم من قومهم لئلا يفتنون عنه، فهو يرمز للمكان الهادئ الذي يلتجأ إليه الإنسان ويحتمي به ويعتزل الناس للتعبد.

ودلالة الغار الذي كان عونا بعد عناية الله عز وجل في حماية المطاردين لدعوة الحق وجعل منه الملجأ الآمن ورمزا للنصر على الأعداء والشعلة في التدبر في خلق الله.

أما فضاء الأرض فهو يدل على المنبت والموطن الذي يترعرع فيه الإنسان.

والسماء والجبل يدلان على العلو والارتفاع والشموخ، ومفردة الجبل ارتبطت ارتباطا وثيقا بالجانب الديني ويتجلى ذلك في قصة موسى مع الجبل الذي صعد إليه وكلم الله سبحانه وتعالى وعرف هناك الوصايا العشرة، كما ارتبطت بقصة ابن نوح الذي لم يرضخ لرسالة أبيه وكان من العاصين عندما قال له أنه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء كي لا يغرق والشمس محور الوجود ورمز القدرة الخالقة والنور الساطع الذي يرسل أشعته على الكون فهي من التأمل والتدبر.

والجنة هي الدار الآخرة التي أعدت للعباد الصالحين، فالجنة هنا تدل على البعث والحساب والجزاء من الفعل والخلود.

ويمكننا القول أن المكان له دور هام فهو نقطة انطلق منها الخطيب بوصفه مكوناأساسي لبنية خطبته وحقق وظيفتهالجمالية الدلالية ذات البعد الرامي في صنع الإبداع الفني.

-الشخصيات:

عجت هذه الخطبة بعدة شخصيات دينية تجلت في أنبياء الله المرسلين إلى الأمة جمعاء لغرس بذور الإيمان بالله الواحد القهار وهم: **يونس، هود، يوسف، إبراهيم، محمد صلى الله عليه وسلم، لقمان، موسى، نوح عليه الصلاة والسلام،** وكلها شخصيات كانت بمثابة القاعدة الأساسية التي بنيت عليها أعمدة الخطبة.

وذكر معجزات هؤلاء الأنبياء التي سخرها الله لهم لتكون سلاحا قاهرا للمشركين ودحر طغيانهم، واستقى هذه الشخصيات من الواقع الإسلامي ومن القرآن بصفة خاصة وهاته المعجزات ميزتها عن سائر الشخصيات العادية فقد أدوا رسالة عظيمة وهي الدعوة إلى الله تعالى وإخراج عباده من نفق الضلالة.

تحليل خطبة عبد الرحمن التنلاني[1]

نص الخطبة:

"الحمد لله الذي جلت محامده فليس يبلغ منها معشارا الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور سرا وجهارا؛ نحمده على نعمه التي لا تحصى عشية وبكارا، ونشكره ونتوكل عليه احتياجا وافتقارا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي عزت قدرته

[1] هو الشيخ عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف ولد في إحدى قصور تيمي في الشمال الشرقي لمدينة أدرار وتاريخ ميلاده لم يكن مضبوطا وذكر أن مولده خلال 1121 في العقد الثالث من القرن الثاني عشر للهجرة، توفي بمصر سنة 1189 هـ وله آثار كثيرة في الرحلات والشعر. ينظر: محمد باي بن محمد عبد القادر بلعالم، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني، 02 أوت 2010، ص 3-4.

فكنه عظمته لا يرام وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث لسائر الخلق الخاص منهم والعام.

أيها الناس روى ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول في بعض خطبه: أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا أهواءكم عن طاعة ربكم، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة إلى معاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، للرحمان (كذا) قبل أن تزعجوا واعلموا وفقكم الله أن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وأن الآخرة قد تجلت مقبلة، وأن الله لا يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض، ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب، وأن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا واعلموا أنكم عن قريب راحلون، وإلى الله صائرون".[1]

1- المعنى العام لخطبة عبد الرحمن التنلاني:

ألقيت الخطبة في صلاة الجمعة أو أحد الأعياد، وانتقى الخطيب هنا مقدمة تتناسب مع عقول السامعين وتتوافق مع ظروف الخطبة ومتطلباتها، ليؤثر في المتلقي وفي وجدانه تأثيرا مباشرا، فاستعان بالشواهد الدينية كآلية لتوصيل المعاني.

تحدث التنلاني في خطبته عن انشغال الناس بالدنيا ونسيان الآخرة وأنهم في النهاية إلى ربهم راجعون، والدنيا بما تحتويه من فتن ومال وشهوات عائق من المعوقات التي تعوق المسلم عن فعل الصالحات والطاعات ويحذرهم أن متاع الدنيا زائل والأحسن أن نجعل الدنيا مزرعة نحصد ثمارها في الآخرة ونصرف الدنيا في طاعة الله، ويكرر تحذيره في الوقوع في أمواج المعاصي فالغذاء الجيد للروح هو كتاب الله سبحانه وتعالى الذي يشفي الصدور إذا ضاقت.

[1] لخضر سعيد بلعربي، فنون النثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، إشراف: مختار حبار، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2017-2018، ص 128-129.

والإيمان حصن لهم ويجب أن يجعلوا من الدنيا دار مذلة ويلتزموا بشرائع الله غير مبالين بها، ونسي الناس أن النهاية الحاسمة هي ظلمة القبر أين لا ينفعهم شيء من الدنيا والعودة إلى الخالق لذا أوصاهم أن يكونوا من أبناء الآخرة لا من أبناء الدنيا للفوز بجنات النعيم.

2- الأسلوب واللغة:

اعتمد الخطيب في هذه الخطبة أسلوبا واضحا، لأنه يريد نصح الناس وتحذيرهم، ونحن نقرأ هذه الخطبة لا نحس بغرابة الألفاظ والكلمات وبدأها بالحمد والثناء على الله عز وجل ونعمه التي لا تحصى ولا تعد وأثنى على رسوله الكريم محمد خاتم الأنبياء والمرسلين (عليه الصلاة والسلام)، وعبر عما يجول في جعبته وأفصح عنه بأسلوب فني خاص فجاء نسيج العبارات منظما ومتقنا يوضح فيها أن الناس اتخذوا من الدنيا نعيما لهم ونسوا الدار الآخرة وغرقوا في بحر المعاصي ونّوه إلى ضرورة التخلي عن الأعمال التي تلهينا عن تذكر الآخرة بلغة بسيطة التزم فيها تعاليم الدين الإسلامي.

كما اعتمد الخطيب التكرار لتقوية المعنى وتأكيده في قوله: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)، وبالنسبة للأسلوب الذي طغى على الخطبة هو الأسلوب الخبري لأنه المناسب لوعظ الناس وتنبيههم بخطورة الانشغال عن الطاعات والأعمال الصالحة والتفرغ للدنيا، والتنلاني هنا متأثر بالدين الإسلامي ويتضح ذلك من خلال نص الخطبة والألفاظ والعبارات المستعملة.

أما بخصوص المحسنات البديعية فهي تعج بالطباق (الدنيا والآخرة، سرا وجهارا، الخاص والعام، مدبرة ومقبلة، يحب ويبغض...) وكذلك وظف التقابل (المقابلة) في العبارات: (..أن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وأن الآخرة قد تجلت مقبلة).

3- فضاء الزمن:

استخدم التنلاني في خطبته الزمن الماضي لأنه الأنسب إلى مقصده لأنه يخاطب عقولا متباينة يختلف فهمها من شخص إلى آخر، فهو هنا الخطيب الناصح الذي يحرص على ما ينتفع به السامعون.

ويتضح الزمن الماضي في قوله: "أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم"، "ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة إلى معاصيكم"، "وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا"[1].

4- الترتيب الزمني:

تفتقر الخطبة إلى التسلسل الزمني فقد بنيت على الزمن الماضي في معظمها، ربما كان هذا مقصودا من الخطيب لتحقيق البعد القصدي المتمثل في الإقناع وتثمين ما يدعوا إليه، فقد استشهد بحديث نبوي شريف أي يسرد وقائعا في الماضي ليستدرج بها السامع ويضغط على وتره الحساس وينعش روحه.

5- الديمومة:

يمكن دراستها من خلال العناصر التالية:

أ- الحذف:

الخطبة التي بين أيدينا خالية من أي حذف عبارة عن نسق واحد متسلسل ومترابط الأفكار جاءت على شكل يشبه الطابع الحكائي الذي يدفع السامعين إلى الانسياق وراء عملية عقلية يدعو فيها التنلاني إلى التعلق بالجانب العقائدي ويبث في النفس أسلوب التشويق وشد الانتباه مستعينا بحجج يسهل بها على الناس فهم مقاصده.

ب- الخلاصة:

[1] لخضر سعيد بلعربي، فنون النثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني، ص 128.

يمكن ملاحظة الخلاصة من خلال سرد الخطيب لأحداث هذه الخطبة التي تستهدف شريحة المسلمين وغير المسلمين والدفع بها وحثها على وجوب العمل للآخرة وعدم الانشغال بالأعمال الدنيوية والمعاصي وأنهم لا محالة زائلون ولن تدوم الدنيا لهم وأراد بهذا تقديم خدمة نفعية الهدف منها تغيير السلوك وتقويمه للأفضل.

ونجد التنلاني لخص مضمون خطبته في العبارة التالية: "أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا أهواءكم عن طاعة ربكم".[1]

الوقفة الوصفية:

عكست الخطبة قضية مهمة تتبلور فحواها حول أفعال سلبية عبر عنها الخطيب بصور محذرة ومنذرة التي سرعان ما تتحول إلى أفعال إيجابية في حالة إقناع السامعين بهذه القيم التي يدعوا إليها من خلال عنصر الإثارة والتحفيز على ترك كل ما يغضب الله عز وجل والتحلي بالتقوى، فيلعب هذا البناء بكل تفاصيله دورا فعالا في التأثير على المتلقي من الناحية النفسية كعامل مهم لديه.

فتمثلت الوقفة الوصفية في قوله: " وأن الله يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض، ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب، وأن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء فكونوا من أبناء الآخرة...وإلى الله صائرون".[2]

وبهذا تساهم الوقفة الوصفية في ترغيب السامعين على طاعة الله وإيقاظ هممهم.

المكان:

سيتم توضيح هذا العنصر من خلال الجدول التالي:

[1] لخضر سعيد بلعربي، فنون النثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني، ص 128.

[2] المرجع نفسه، ص 129.

المكان	الشاهد من الخطبة
الدنيا	"الدنيا قد ارتحلت مدبرة"
الآخرة	"الآخرة قد تجلت مقبلة"

المتتبع لهذه الخطبة يجد فيها الكثير من المتضادات التي تلازم حياة المؤمن في رحلته في الحياة الدنيا وتنظم العلاقة بين العبد والمعبود ويتأقلم في إطار تلك المبادئ التي تؤكد في مضمونها مبدأ الثواب والعقاب، فقد ذم التتلاني الحياة الدنيا ونبذ مغرياتها ودعا إلى الاجتهاد للدار الآخرة فالحياة الزاهية تنتهي بالموت، فنجد هنا (الدنيا) تدل على المكان المنحط الحقير الذي ليس له قيمة وهي قصيرة الأمد ستنقضي وتذهب بسرعة فالإنسان يعيش فيها ليقدم ما يستطيع الوصول به إلى الحياة الآخرة الأبدية.

أما بالنسبة (للآخرة) فهي تدل على دار الخلود والفصل بين الخلائق من ظالمين أو مؤمنين يوم تضع المحكمة الإلهية الجزاء فهي ترمز ليوم العدل الكوني.

الشخصيات:

الشخصيات التي وظفها عبد الرحمن التتلاني كلها تصب في الحقل الديني وهي: (الله، محمد صلى الله عليه وسلم، الناس).

(الله) خالق الأكوان والوجود فهو يرمز إلى القدسية والعظمة اللامتناهية والاستعلاء وهو متفرد بكل ما هو معجز وعظيم، أما (محمد صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء المرسلين فهو رمز الرحمة والسماحة وله مكانة عظيمة عند الله، وفيما يخص (الناس) فهو المتلقي والسامع ويرمز إلى المخلوق التافه أصله من تراب وإن طالت به الحياة يرد إلى أرذل العمر فلا يعلم بعد علم شيئا.

خاتمة

ليس من حث المرء أن يدعي في مجال الدراسات الإنسانية، أن ما ذهب إليه من قول هو الحق وما عداه فهو باطل، وإلا فمن المحال أن تتطور تلك الدراسات وتتنوع إلى حقول مختلفة وكثيرة متباينة تباين المتبعة عند كل دراسة، والدراسات الأدبية في ذلك سواء، فهي تختلف نتائجها باختلاف مناهج الدراسة المتبعة لدى كل باحث.

تبعا لذلك ها هو بحثنا شارف محطته الأخيرة، بعد رحلة جعلتنا نغوص في أغوار " فن الخطابة في النثر الجزائري نماذج مختارة " والنتائج التي توصل إليها البحث في هذه الدراسة ليست نهائية ونقص في الخطب الجزائرية القديمة غير مدونة، ونجمل معظم النتائج في مجموعة من النقاط التالية:

- ✓ عرف فن الخطابة من قديم العصور، وقد كان لليونان والرومان جهود تذكر في هذا ومن ذلك أن الإلياذة لهوميروس قد حملت العديد من الخطب.
- ✓ الخطابة فن من فنون القول تعمل على التأثير في السامعين واستمالتهم وبالتالي تعد وسيلة من وسائل الإتصال بين الخطب والجمهور واستمراريتها فيما بعد.
- ✓ الخطب وسلة للوعظ والإرشاد في أكثر الأحيان، وأكثر الخطب كانت في المجالات الاجتماعية والدينية والتعليمية.
- ✓ اعتبرت فن الخطابة من أبرز الفنون النثرية عند العرب، والتي امتلكت مكانة عظيمة في حياة الناس وتوجيههم إلى الأخلاق النبيلة، وقد مرت فترة من الفترات قدم فيها الخطيب على الشاعر فأصبح لسان حال القبيلة، وكان من أبرز الأسباب في ذلك تسارع الشعراء إلى أعراض الناس.
- ✓ تعددت أنواع الخطب بمختلف المجالات:
  - ➢ الخطبة الدينية: تخصصت في رجال الدين والأمثلة عليها خطبة العيد
  - ➢ الخطبة القضائية: شملت المرافعات والإدعاءات وغالبا ما يكون مصدرها المحامين.

- الخطبة العسكرية: يلقيها الرؤساء والعسكريين وقادة الجيوش.
- الخطبة السياسية: يلقيها رؤساء الجمعيات والقادة ورجال السياسة.
- الخطبة العلمية: ما شملت الأمور العلمية والمناظرات.

- ✓ فالخطبة تنوعت بتمركز الأشخاص وحسب حاجتهم للخطبة والإلقاء للمستمعين وأي فئة متخصصة.
- ✓ امتازت الخطابة بخصوصية الإقناع بالدليل واستخدام الحجة الواضحة، والموعضة الحسنة والجنوح إلى الوضوح الذي يبين قصد الخطيب من خطبته.
- ✓ الخطيب تميز بأسلوب واضح والابتعاد عن التضليل والعبارات الغامضة، باستخدامه الأسلوب المجازي في نقل رسالته.
- ✓ عرفت الجزائر الخطابة منذ القدم، وكان للخطابة مكانة في الأدب الجزائري، رغم العوائق السياسية والعسكرية والاجتماعية، إلا أنها عرفت حركة أدبية نشيطة تجلت في الكم الهائل للنصوص من نثر وشعر تركه الأدباء الجزائريين.

الملاحق

- نص الخطبةأحمد ابن منصور:

[الحمد لله] الذي ابتدأ الخلق بنعمائه، وتغمدهم جميعا بحسن آلائه، فوفق كل امرئ منهم في صبائه، إلى ما يحتاج الله من غذائه، وسخر له من يكلأه إلى وقت استغنائه، ثم احتج على من بلغ منهم بآلائه، وأنذرهم بأنبيائه، الذي لم يزل بصفاته وأسمائه ولا يشتمل عليه زمان، ولا يحيط به مكان، خلق الأماكن والأزمان، ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ (فصلت: 11)،

فقدرها أحسن تقدير، واخترعها من غير نظير، لم يرفعها بعمد تدرك بالمعاينة، ولم يستعن عليها بأحد استكبارا عن الشركة والمعاونة، وزينها للناظرين، وجعل فيها رجوما للشياطين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلفين، وأن تحكم في دينه أهواء المقلدين، بل جعل القرآن إماما للمتقين، وهدى للمؤمنين، وملجأ للمتنازعين، وحكما بين المتخالفين، ودعا أولياءه المؤمنين إلى إتباع تنزيله، وأمرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، بذلك نطق محكم كتابه إذ يقول جل ثناؤه﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾(سورة النساء: 59)

وتعبد نبيه صلى الله عليه وسلم عند رجوع الأمة في تأويل ما أشكل عليها إليه، بأن يبين لهم معنى ما أنزل عليه فقال ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾[1] ولم يكلهم دائما إلى القول في دينه بآرائهم، ولا أذن لهم في مسامحة أهوائهم، فتكون الأحكام مبتدعة والآراء مخترعة، والأحكام متبعة، بل أحصى كل شيء عددا، وضرب لكل شيء أمدا، ﴿ ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حيي عن بينة ﴾ (الأنفال: 42)، أحمده حمدا يبلغ رضاءه، ويحتسب آلاءه، وأستعينه على ما استحفظنا من شرائعه، ونؤمن به إيمان من أخلص عبادته، واستشعر طاعته، ونتوكل عليه توكل من انقطع إليه ثقة به، ونرغب فيما لديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد مقر له بالعظمة والتمجيد، خائف من إنجاز ما قدم له من الوعيد.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاه لنفسه وليا، وارتضاه لخلقه نبيا، فوجده على حفظ ما ضمنه قويا، وبأداء ما استودعه مليا، والدعاء إلى ربه حفيا، ومتوقفا عند ورود المشكلات، ومشمرا عن انجلاء الشبهات، لا يرعوي لمن عذله، ولا يلوي على من خذله، ولا يطيع غير من أرسله، يصدع بالأمر، ويطفئ نار الكفر، لم تأخذه في الله لومة لائم، ولم ينحرف عنه لزعم زاعم، أرسله على حين فترة من الرسل، ودروس من السبل، وتضامن من أهل الملل.

[1] سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص 381.

والناس فريقان عالم مستكبر، وجاهل مستظهر، فالعالم الذي قد سبق له الخذلان ينزغه الشيطان، ويجمح به الطغيان، فيستنكف عن الدخول في[1] الإيمان، والجاهل متسكع في غيه متحير في أمره، منتظر ما يكون من غيره، فلم يزالا يعكفان على الأزلام، ويعتصمان بالأصناف، والرسول عليه السلام يرعاهم رعي السوام، ويدعوهم إلى دار السلام، فلم يزل عليه الصلاة والسلام يعظهم بالآيات، ويقرعهم بالمعجزات، حتى استقام من أحب الله توفيقه من سائر أهل الديانات، فبلغ المحكمات، وأوضح المشكلات، وزجر عن القول في الدين بالشهوات، فختم الله به النبيين وأكمل به الدين وأوجب به الحجة على العالمين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وإخوانه المرسلين وأوليائه من المؤمنين.[2]

- **خطبة أسماء سور القرآن.**

الخطابة فن إيصال خبر أو فكرة ما لمجموعة من السامعين على نحو مقنع ومؤثر وهكذا نجد الإقناع والتأثير هما غاية الخطابة ومحورها الرئيسي، كما أنها تمتلك غاية ذات شأن كبير وهي إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم موجهة إلى عقل السامع لتبثه الحقيقة وتستمليه بها، وعلى الخطيب أن يكون مُلِمًّا بصنوف المعارف ومن هؤلاء الخطباء الشيخ **سعيد المقري التلمساني**[1] في خطبته التي جاءت تحت عنوان

[1]سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص 382.

[2] المرجع نفسه، ص 383.

[1]**هو أبو الحسن سعيد بن أحمد المقري التلمساني** منشأ ودارا عم الشيخ **أبي العباس أحمد المقري** المشهور ولد عام 928 هـ (1522م) تولى خطة الإفتاء بتلمسان مدة ستين كما تولى الخطابة بالجامع الأعظم مدة خمس وأربعين سنة ولا نعرف تاريخ وفاته وإنما كان على قيد الحياة عام 1001 هـ (1593) إن الشيخ سعيد المقري كان علاوة على العلوم الشرعية التي كان له الباع الطويل فيها فإنه كان حافظا للعربية والشعر والأمثال كما كان عذب الكلام فصيح القلم ممتع المحضر. (ينظر محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، ص 154.

"**أسماء سور القرآن**"يقول فيها: " الحمد لله الذي افتتح فاتحة الكتاب بسورة البقرة ليصطفي آل عمران رجالا ونساء وفضلهم تفضيلا، ومد مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة وجعل يونس في بطن الحوت سبيلا–ونجى هودا من كربه وحزنه كما خلص يوسف من جبه وسجنه وسبح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ إبراهيم خليلا، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شرابا نوع اختلاف ألوانه وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه أرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلا، وفضل طه على جميع الأنبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون حيث دعا إلى الإسلام: قد أفلح المؤمنون إذ جعل نور الفرقان دليلا، وصدق محمد صلى الله عليه وسلم الذي عجزت الشعراء في صدق نعمته وشهد النمل بصدق بعثه وبين قصص الأنبياء في مدة مكثه ونسج العنكبوت عليه في الغار سترا مسدولا.

وملئت قلوب الروم رعبا من هيبته وتعلم لقمان الحكمة من حكمته وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته وهزم الأحزاب وسباهم وأخذهم أخذا وبيلا، فلقيهم فاطر السماوات والأرض بياسين كما نفذ حكمه في الصافات وبين صدقه بإظهار المعجزات وفرق زمر المشركين وصبر على أقوالهم وهجرهم هجرا جميلا، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن امرهم شورى بينهم وزخرف منار الإسلام وخفي دخان الشرك وخرت المشركون جاثية كما أنذر أهل الاحقاف فلا يهتدون سبيلا، وأذاق الذين كفروا شدة القتال وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز وحجر الحجرات العزيز وبقاف القدرة قتل الخراصين تقتيلا.

كلم الله موسى على جبل الطور فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادئ السرور واقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور فتعجب الحديد من قدرته وكثرت المجادلة في أمته إلى أن أعيد في الحشر بأحسن مقيلا، امتحنه في صف الأنبياء وصلى بهم إماما في تلك الجمعة ملئت قلوب النافقين من التغابن خسرا وإرغاما

فطلق وحرم تبارك الذي أعطاه الملك وعلم بالقلم ورتل القرآن ترتيلا وعن علم الحاقة كم سال فسال الإيمان ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان وأتت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن فأنزل عليه يا أيها المزمل قم الليل قليلا فكم من مدثر يوم القيام شفقة على الإنسان إذ أرسل مرسلات الدمع فعم يتساءلون أهل الكتاب وما تقبل من نازعات المشركين إذ عبس عليهم مالك وتولاهم بالعذاب وكورت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كثيبا مهيلا، فويل للمطففين إذا انشقت السماء بالغمام وطوت ذات البروج وطرق طارق الصور للقيام وعز اسم ربك الأعلى الغاشية الفجر فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويل، فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم إذ عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة فسجدوا باقرا باسم ربك الذي خلق هذا النعيم الأكبر لأهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر وتبتلوا تبتيلا، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم وتسوقهم كالعاديات على سواء الجحيم وزلزلت بهم قارعة العقاب وقيل لهم ألهاكم التكاثر هذا عنصر العقاب الأليم وحشر الهمزة وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتيلا.

وقال قريش ما أنتم من هول الحشر أرأيت الذي يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر وسيق الكافرون إلى النار وجاء نصر الله والفتح وتبت يدا أبي لهب إذ لا يجد سورة الإخلاص سبيلا، فتعوذ برب الفلق من شر ما خلق وتعوذ برب الناس ملك الناس من شر الوسواس الخناس الذي فسق، ونتوب إليه ونوكل عليه وكفى بالله وكيلا"[1]

يظهر على الإمام سعيد المقري التلمساني أنه متأثر تأثرا واضحا بالجانب الديني من حيث الشكل والمضمون، فقد اعتمد في خطبته على ألفاظ القرآن الكريم وسار على نهجه وطريقته في بيان إعجازه، حيث أورد فيها جل أسماء الأنبياء والرسل ومعجزاتهم التي سخرها الله لهم كل على حدة مستشهدا بالآيات القرآنية لما تمتلكه من قدرة مؤثرة في

[1] الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، المرجع السابق، ص 154.

استمالة النفس البشرية وانفعالها من خلال البراعة في الإعجاز وذلك لإيقاظ همم الناس وبعث كوامن نفوسهم ووجدانهم للإقبال على التوبة وجعلها تذكرة لقوم يتفكرون، وخير دليل على ذلك نص هذا الخطيب الذي استطاع به أن يلامس الأسماع ويداعبها بأسلوب أدبي بارع ربما يعجز عنه الكثير من الخطباء وأظهر لنا دقة بيان القرآن الكريم بأسلوب جمالي يبهر الحواس يضفي عليه قيمة إضافية تجعله أكثر تأثيرا في المتلقي.

وكل هذا يجعلنا نستنتج أنه اجتمعت في الشيخ المقري التلمساني كل صفات الخطيب البارع.

نص الخطبة عبد الرحمان التنلالي:

"الحمد لله الذي جلت محامده فليس يبلغ منها معشارا الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور سرا وجهارا؛ نحمده على نعمه التي لا تحصى عشية وبكارا، ونشكره ونتوكل عليه احتياجا وافتقارا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي عزت قدرته فكنه عظمته لا يرام وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث لسائر الخلق الخاص منهم والعام.

أيها الناس روى ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول في بعض خطبه: أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا أهواءكم عن طاعة ربكم، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة إلى معاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، للرحمان (كذا) قبل أن تزعجوا واعلموا وفقكم الله أن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وأن الآخرة قد تجلت مقبلة، وأن الله لا يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض، ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب، وأن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا واعلموا أنكم عن قريب راحلون، وإلى الله صائرون".

ملخص الدراسة

يعتبر فن الخطابة من أهم فنون النثر العربي القديم، وهو علم من العلوم له منهجيته الخاصة، حيث كانت الخطب منبرا للتواصل بين الكاتب والأفراد والجماعات ووسيلة للإرشاد والوعظ في أكثر الأحيان، وللخطيب خصائص وأنواع تميزت بها، وأكثر الخطب كانت في المجالات الدينية والاجتماعية والتعليمية.

summry

The art of public speaking is one of the most important arts of ancient Arabic prose, and it is a science with its own methodology. Where the sermons were a platform for communication between the writer, individuals and groups and a means of guidance and preaching in most cases.

Through my modest work, I drew a methodological plan for the title of my memoir, "The Art of Public Speaking in Old Algerian Prose, Selected Models." It consisted of an introduction, an introduction, and two chapters. In the second chapter, I studied selected models of old Algerian rhetoric.

قائمة المصادر والمراجع

1) الكتب العربية:

1. ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق وتقديم عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960
2. أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، د.ط
3. إحسان النص، الخطابة في عصرها الذهبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، د.ت
4. أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة
5. أرسطو، طاليس، الخطابة، تحق، عبد الرحمان البدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم بيروت، لبنان، 1985
6. إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب (بحوث في إعداد الخطب الداعية)، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2006
7. جبران مسعود، رائد الطلاب المصور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 2008
8. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
9. الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان
10. حسين علي الهناوي، أشكال الخطاب النثر الفني الأموي في المشرق، (ج.ح.م)
11. حميد لحميداني، النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة، الدار البيضاء بيروت، ط3، 2000
12. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، 1986

13. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الجزء الأول، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1352 هـ/1934م، (ط.1)،(د.ت)
14. الزمخشري، أساس البلاغة، تج: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1998
15. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفلك، بيروت، لبنان، د.ط، 2000
16. سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط3، القسم 2، 2002
17. شوقي أبو خليل، فتح الأندلس، ط3، دمشق، دار الفكر، 1980
18. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف بمصر، (ط6)، (د.ت).
19. طه حسين، من حديث الشعر والنثر، دار المعارف بمصر، ط1
20. عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1986، ط1، 2004
21. عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، مطبعة الأميرية، دمشق، ط1، 1999
22. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان
23. عثمان موافي، في نظرية الأدب من القضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، 2000
24. علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب
25. علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، د.ط، د.ت
26. فاروق سعد، فن الإلقاء العربي الخطابي والقضائي التمثيلي، شركة الحلبي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1999

27. كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام على " رضي الله عنه "، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، 2012
28. كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه
29. لخضر سعيد بلعربي، فنون النثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني
30. ليلى محمد ناظم الحيالي، جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2003
31. محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مطبعة العلوم، مصر، ط1، 1934
32. محمد أبو زهرة، الخطابة، أصولها، وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب
33. محمد التنوخي، فن الكتابة والقول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ /2000م
34. محمد العمري، في بلاغة الخطاب ألإقناعي، إفريقيا الشرق، المرغب، ط2، 2002

2) المذكرات والرسائل الجامعية.

1. دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، إشراف الأستاذ الدكتور، تبرماسين عبد الرحمان
2. زايد أحلام، قروي نادية، النثر الفني عند الجاحظ، من أعاجيب الحياة نموذجا، إشراف بوعامر كريمة، مذكرة مقدمة لنيل ليسانس في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، 2012،2013

3. عيسى ساعد مدور، الخطابة في النثر الجزائري الحديث (موضوعاتها وخصائصها)، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي الحديث، إشراف أ.د عبد القادر دامخي، جامعة الجزائر، 2004-2005

4. **قواميس**

1. إبراهيم فلاني، (قاموس مدرسي)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط حديثة، 2010
2. ابن سينا، الشفاء، تحق: أحمد فؤاد الإهواني،ج4، د.ط، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، 1404
3. ابن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، 1772
4. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نثر)، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)
5. أحمد خليل الفراهيدي، معجم العين، باء الخاء، تحق : عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003
6. عبد القاهر الجرجاني، معجم التعريفات، باب خاء، تحق: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت
7. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (خ لا ب)،ط2 ، مؤسسة الرسالة، 1987
8. الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تج: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005
9. لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، ج1، (د.ط)، 1388هـ / 1986م، مادة خطب

10. معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1425هـ/2004م

فهرس البحث

فهرس البحث

الشكر والعرفان...../

الإهداء...../

مقدمة.....أ ـ ت

مدخل.....10

1. مفهوم النثر.....10
2. تطوره عبر العصور.....12
3. خصائص النثر الفني.....19

الفصل الأول: فن الخطابة.....23

أولا: تعريف الخطابة.....23

ثانيا: نشأة الخطابة.....28

ثالثا: أنواع الخطابة.....33

رابعا: خصائص الخطابة.....35

خامسا: الخطابة في الجزائر قديما.....36

الفصل الثاني: الخطبة في النثر الجزائري القديم " نماذج ".....39

- تحليل خطبة أحمد بن منصور.....39
- تحليل خطبة أسماء سور القرآن.....49
- تحليل خطبة عبد الرحمان التتلاني.....57

خاتمة.....65

الملاحق.....68

ملخص الدراسة.....74

فهرس البحث.....82